

المحاضرة الأولى مدخل الى النقد العربي الحديث 1

تمهيد:

لا جرم أن يشهد مصطلح "النقد" شيوعاً، جعله الوجه المائز في الأبحاث، فمنذ كان الإبداع فكان الرأي حوله، ومن هنا انطلقت الحركات الابداعية في تصويب وتقييم الأعمال من خلال تلك المرافقة النقدية. وقد أكد أكثر النقاد على هذه المرافقة بل بينوا أهميتها ودورها في دراسة النصوص.

إرهاصات النقد معجمياً:

تفيد المعطيات التاريخية بأن مفهوم النقد قد اكتسب منحى آخر غير الذي كان عليه بداية، وهو ما تعلق بهجرة المصطلح من ميدان لآخر. فالنقد من انتقاد العملة وتبادلها واختبارها لمعرفة برهجها - معدنها. وأقاموه على معنى التجارة في ميدان الصيرفية وقد توالت المعاجم العربية في رصد تلك المعاني المعجمية للمصطلح، تقف عند حدود الشائع منها:

لقد ورد في معجم لسان العرب: >>النقد خلاف النسيئة، والنقد والنقاد. تمييز الدراهم واخراج الزيف منها... والنقد: تقشر في الحافر وتآكل في الأسنان. تقول نقد الحافر، بالكسر ونقدت أسنانه>>¹ و>>النقد: أن يضرب الطائر بمنقاره، أي بمنقاره في الفخ،... الناقد: الوازن من الدراهم>>².

و>>نقد الشيء نقداً: نقره ليختبره أو ليميز جيده من رديئه، ويقال: نقد النثر، ونقد الشعر: أظهر ما قيمها من عيب أو حسن>>³

¹ أبو الفضل جمال الدين مكرم بن محمد بن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، حرف النون. الجزء رقم ص.

² الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي: القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، 1403هـ، 1983م، مادة (نقد).

³ محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، طباعة مكتبة بيروت لبنان، 1985. مادة، نقد.

أما إذا عدنا بالمصطلح في جذرها اللغوي نجد المعجم الوسيط قد فصل فيه: [ن.ق.د] (فعل ثلاثي لازم متعد بحرف، نقدت، أنقُد، أنقُد. نقد كلامه: أظهر ما به من العيوب والمحسن: نقد نصاً شعرياً¹ وانتصادف مع القرائن الي لصقت بالمعنى المعجمي في ما ورد في المنجد في اللغة العربية المعاصرة: درهم نقد: جيد لا زيف فيه²، أما عن المعجم الرائد التعريفي فقد عد النقد الأدبي >> من الأساليب المتبعة لفحص الآثار الأدبية، بقصد كشف الغامض وتفسير النص الأدبي والإدلاء بحكم عليه في ضوء مبادئ أو مناهج يختص بها ناقد من النقاد.<<³

وغير بعيد عن هذه المعاني الحديثة التي صاحبت مصطلح النقد في معجمتيه، تأتي المعاجم الغربية وفي مقدمتها الفرنسية لتحيط "النقد" أو "critique" بحالة من المفاهيم الدقيقة والتي من شأنها أن ترفع المصطلح إلى تيارات فكرية وأبعد من ذلك إلى نظريات غريبة.

تشارك أمهات المعاجم الغربية في القول بأن مصطلح "النقد" معجمياً ومفاهيمياً هو: >>الرؤية النقدية أو الطريقة التي تمكن القارئ من قراءة ودراسة الآثار الأدبية; Regard critique, personne qui etudie les oeuvres litteraires.⁴

كما يعنى النقد معجمياً بالوقوف عند >>الثغرات النصية المادية والمعنوية لكل أثر<<⁵. دون المساس في تتبع هذه الثغرات ب>>حرية المبدع الذي يظهر كناقد في الوقت نفسه<<⁶.

ومن ثمة تجزم الكتب النقدية على أن "النقد" المتعارف عليه اليوم هو وليد العصر الحديث ويسفعا في هذا الحديث ما ذكره أحمد أحمد بدوي في قوله: (اتصلت بالنقد الأدبي عن قرب...

¹ مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، القاهرة، ط3، 1998. مادة: نقد.

² المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط2، 2001، باب النون، مادة (ن.ق.د).

³ جبران مسعود: جرائد الطلاب، (معجم لغوي عصري)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط34، فبراير، 2007، ص207.

⁴ Hachatte: dictionnaire, Paris, hachatte 2002. P80.

⁵ Alkanze: dictionnaire, jeruan sabak, edition: maison sabek sarl. Paris, France, 1984. P60.

⁶ Le petit Robert: dictionnaire. Paris, 1999. P72.

وأغلب الظن أن العرب لم يعرفوا هذا المصطلح الذي يجري على ألسنتنا اليوم وهو عبارة عن النقد الأدبي وأرجح أن لغتنا العربية لم تعرفه إلا في العصر الحديث¹.

لما كان النقد بمفهومه الحديث نقداً، ارتأينا الوقوف عند مصطلح الحداثة من الناحية الزمنية، قد يتسأل الباحث منا عن هذه المحددات الزمنية؟ وعن حقيقتها؟.

حق لنا في العصر الحديث أن نتجاوز الناقد كونه البين، العارف بمعادن النقود والكاشف عن بمرجها من عدمه، وكونه الناقد القاضي الذي ارتآه سكاليني Skalini وهو الذي لم يفتقر للحظة دون أن يردد عام 1580م النقد فن الحكم. إذ تشبه وظيفته وظيفه القاضي بحيث لا مناص لصاحبه من إصدار الحكم إنه السيد الصادق، الحاكم العادل.

وبالعودة إلى "النقد" في صورته الحديثة بتزامن وطلوع فجر القرن العشرين، >يبدو أن المدة الزمنية التي بدأنا نعرف فيها المصطلح الجديد تعود إلى مطلع القرن العشرين، ولا شك أن هناك فروقا جوهرية بين المصطلح القديم والمصطلح الحديث... فالنقد الحديث أوسع دائرة وأكثر شمولاً لعناصر الأدب، وأكثر ارتكازاً على الثقافات المتعددة، والمعارف المتنوعة <<².

وعليه بفرق الحديث بين النقد كمصطلح قديم وحديث حتى أننا نلاحظ أن الفرق قد يتطور ليصل إلى المفهوم إن صح الحديث، فإذا كانت وظيفة >النقد الأدبي وغايته، نتلخص في تقييم العمل الأدبي من الناحية الفنية، وبيان قيمته الموضوعية وقيمه التعبيرية والشعورية، وتعيين مكانه في خط سير الأدب. وتحديد ما أضافه الى التراث الأدب في لغته، وفي العالم الأدبي كله، وقياس تأثيره بالمحيط، وتأثيره فيه، وتصوير سمات صاحبه <<³. فإن وظيفته الحالية هي البحث والتنقيب عن تلك

¹ أحمد أحمد بدوي: أسس النقد الأدبي عند العرب، دار نضضة مصر للنشر، ط9، 2013، ص03.

² محمد كريم الكواز، البلاغة والنقد، المصطلح والنشأة والتجديد، دار الانتشار العربي، بيروت، لبنان. ط1، 2006، ص58.

³ السيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة، ط6، 1990، ص07-ص08.

>> الخصائص الشعورية والتعبيرية، وكشف العوامل النفسية التي اشتركت في تكوينه والعوامل الخارجية لذلك¹<<

إن الناظر للمعنى القديم للمصطلح النقد - يدرك جيدا بأن أساس كل ذلك النقد >> هو الذوق الشفهي تدعمه ملكة تحصل في النفس بطول ممارسة الآثار الأدبية... يقف عند الجزئيات ويقفز إلى تعميمات خاطئة تجعل من شاعر الناس أشعره الناس لبيت قاله..<<² غير أننا لا ننكر فضل النقد القديم أبدا فهو من أقام اللبنة الأولى لبناء صرح النقد العربي مهما حل به من تجديد.

أما اليوم يمكن لنا أن نميز بين مبدع وآخر عن طريق مناهج جمة منها النسقية والسياقية وهي تتجاوز فكرة الذاتية للموضوعية. بل تتبع خطوات لا ينبغي تجاوزها أو إهمالها إذا كان النقد القديم قد انتهل من كتاب "طبقات فحول الشعراء" الذي كتبه ابن سلام الجمحي في القرن الثالث الهجري وأقر بأن النقد: فن دراسة النصوص والتمييز بين الأساليب المختلفة عن طريق تقسيم الشعراء حسب الآتية:

1 ← الزمان

2 ← المكان

3 ← الفن الأدبي

كما ارتأى شروطا يجب توافرها في الناقد وفي النقد: الحرية والممارسة، صحة النصوص. اسس المفاضلة.

¹ نفس المرجع. ص 08.

² محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، دار تحفة مصر للنشر. ط 9، 2014، ص 11.

ونهل من ابن قتيبة في كتابه "الشعر والشعراء" ومن "سر الصناعتين" لأبي الهلال العسكري... الخ وغيرها من الكتب النقدية، فإننا اليوم نعتزف بالوافد الغربي الجديد الذي قدم مسحة حديثة للنقد العربي.

*معطى البراغماتية (Pragmation):

مما لا شك فيه أن النقد الأدبي نشأ عربيا وظل عربيا. غير أن الذي حدث عند العرب هو أن النقد عندهم قد تأثر في منهجه بالعقلية الجديدة... وهذا... الذي استقر الباحثون على جدواه منذ أوائل القرن التاسع عشر إلى اليوم، وبفضله جددت الإنسانية من معرفتها بتراثنا وزادته خصبا¹.
يعترف الناقد محمد مندور بفكرة التأثر بالغرب في اعتقاده >>الراسخ بضرورة استفادتنا من تجارب الغير ومن التقدم المنهجي الكبير الذي أحرزه الباحثون الأوروبيون في مجال الأدب واللغة².

وهو ما يمكن أن نقف عنده في المحاضرة الثانية.

عود على بدء:

إن تأثر النقد العربي بمعطى الحداثة المغربي، لا ينكر فضل السبق النقدي القديم >>فلاستفادة لن تكون صحيحة وسليمة وعميقة واعية إلا بعد دراسة تراثنا العربي القديم في الأدب، والنقد وعلوم البلاغة المختلفة...³ كيف لنا أن ننكر فضل نشأته الأولى >>أيام العصر الجاهلي... و صدر الاسلام... وان كان نقدا فطريا... غير أنه ظهر الى جانب هؤلاء النقاد الفطريين طائفة اخرى تبني نقدها على أساس من الذوق العلمي، وتمثلت هذه الطائفة في فريق

¹ محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، ص 11.

² نفس المرجع، ص 03.

³ محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب . ص 03.

النحويين واللغويين الذين خلفتهم الحياة الإسلامية الجديدة، وهؤلاء العلماء قد أسهموا بنصيب كبير في النقد الأدبي¹.

لقد سار النقد بعد ذلك بخطى واسعة إلى الأمام في العصر العباسي >>وظفر النقد الأدبي من ذلك كله بمادة واسعة، من ناحية التعمق في معرفة مظاهر الجمال وأسبابه، واستنباط القواعد التي يكون عليها سبب وضع شاعر في مكان أرفع من شاعر آخر أو الحكم بأن كلاماً أسمى من كلام². لقد ظهرت آنذاك كتب قيمة تناولت أكثر المسائل النقدية الأدبية منها: طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي، الشعر والشعراء لابن قتيبة. البديع لابن المعتز، الموازنة بين الطائيين للآمدي، الوساطة بين المتنبي وخصومه لعبد العزيز الجرجاني، سر الصناعتين لأبي الهلال العسكري. العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيرواني.

¹ أحمد أحمد بدوي: أسس النقد الأدبي عند العرب، ص7.

² نفس المرجع، ص8.

المحاضرة الثانية مدخل الى النقد العربي الحديث 2

تمهيد:

لم يكن الناقد العربي قدامة بن جعفر بكتابه نقد الشعر ونقد النثر وحده من تأثر بـ <>الثقافة الأجنبية<>¹. التي تظهر في <>تيار قدامة بن جعفر الذي حاول وضع علم الشعر وعلم النثر يقومان على الفروق الشكلية التي مكن لها أرسطو بمنطقة في كل ميادين المعرفة.<>²

عوامل النهضة العربية والملاح التآثرية:

1- مفهوم النهضة:

يتناسل المصطلح لتوليد معان جمة لعل أشهرها، اليقظة أو التنوير، وهي التي تحولت إلى مفاهيم عربية تطلق على الحركة الفكرية والاجتماعية التي انبثقت عن عدة عوامل. فسادت الوطن العربي. ومن هنا <>تخلص من أوضاع الماضي، وهضته من وهدة الركافة والغثاثة إلى أن اتضحت سماته، وأخذ يشق طريقه إلى القوة والصحة والجمال<>³.

أفضت النهضة إلى إعادة انتشال الوطن فكريا ولغويا بل اجتماعيا، و سياسيا، واقتصاديا وما يجدر بنا الوقوف عنده هو ذلك الجانب الأدبي النقدي الذي <>تطور تطورا عظيما، وتعددت أغراضه وألوانه، واتسعت آفاقه وقوابله وتطورت معه اللغة العربية، وخرجت من جمودها السابق إلى مسابرة الحضارة الحديثة، والثقافات الوافدة لا سيما في العلوم الإنسانية<>⁴.

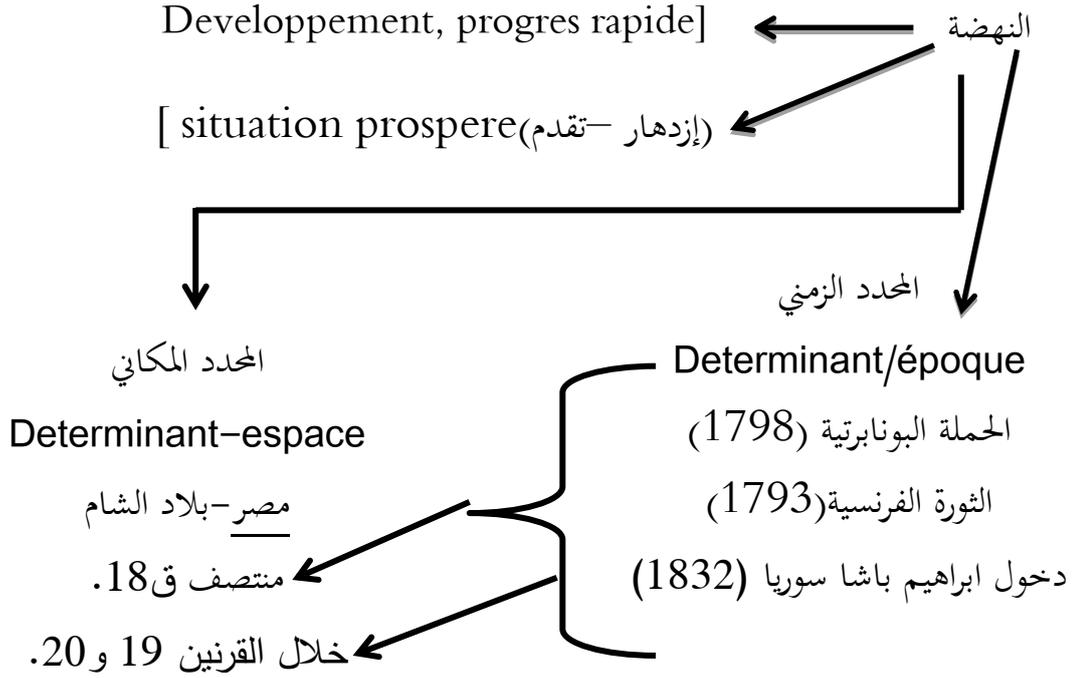
يرتبط مفهوم النهضة بمحددات زمنية وأخرى مكانية يمكن تلخيصها في هذه الترسيمية:

¹ أحمد أحمد بدوي: أسس النقد الأدبي، ص10.

² محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، ص10.

³ عمر الدسوقي: نشأة النثر الحديث، دار الفكر العربي. القاهرة، مصر، 2007، ص03.

⁴ المرجع السابق. راجع ما ورد في المقدمة.



2- عوامل النهضة:

تزامنت النهضة العربية وتضافر عدة عوامل داخلية وأخرى خارجية ندرجها على النحو الآتي:

1.2*العوامل الداخلية:

← شيوع الحركات الإسلامية المنددة بإزالة عوامل التخلف، والجهل، والأمية، والتخلي عن البدع والخرافات، والالتزام بالجانب العقائدي الذي يكفله خطاب الشارع الحكيم، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

← فتح باب الدفاع عن الأرض وتخليصها من براثن الاستعمار وقد ظهرت هاهنا أغراض شعرية جديدة كالشعر السياسي وهو ما عاشته الأمة العربية الإسلامية أثناء تعرضها للاستعمار الأجنبي وقد كانت لها الخطوة في الاهتمام بالواقع السياسي ويساندنا في هذه الإشارة قول بدوي طبانة: <<استطاعت أن تحتل منزلتها في عالم الأدب وأن تبرز بروزا مشهودا>>¹.

¹ بدوي طبانة: التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، دار المريخ للنشر، الرياض. 1983. ص16.

← ظهور ما يسمى بمحكي الانتساب للأندلس، افتخر العرب آنذاك في الأندلس بمعارفهم وعلومهم غير أنها أخذت من الأعاجم هناك الكثير من التطور والتقدم لقد انتقل الفكر العربي الى أوروبا بعد فتح العرب الأندلس عام 710م وكان فتحا عظيما، وكانت قرطبة عاصمة تعج بالطلبة الوافدين العرب، لكن سرعان ما تحول هذا التأثير من عرب إلى التأثير عليهم بسقوط الأندلس. وكان هناك من يريد أن يعتنق الفكر الأوروبي الحديث آنذاك، وكان لهم ذلك. فلاحظوا ذلك التوافق في تطوير الأفكار مما سهل لهم تبنيها دون شروط.

← اعتماد الترجمة والهجرة: اعتمد العرب في عصورهم الحديثة على الإعلاء من أهمية الاحتكاك، بل ضرورته لعملية التقدم والنهضة المنشودة في أي مجتمع من المجتمعات، وهنا نستحضر ذلك القسم الذي كان يردده امبراطور اليابان أمام الشعب في خطابات رسمية والذي مفاده: سنبحث عن المعرفة في جميع أنحاء العالم. وفكرة الترجمة قد أشار إليها روجيه جار ودي بما قدمه في كتابه: حوار الحضارات *pour un dialogue des civilization*، والمعروف عن هذا المفكر، المرأة والتجديد.

لقد استوعب العالم العربي الحديث >> آثار أجنبية كثيرة نقلت إليه، منها الأدبي، ومنها السياسي، ومنها الفلسفي... وكان ذلك تحولا كبيرا في الفكر العربي، إذا اصطبغت بثقافات أجنبية كثيرة، وأخذت أوعية لغته، تحمل كل التراث الحضاري القديم، واتسعت جنباتها سعة جديدة¹. وعليه اهتم الحكام العرب باستقدام الخبرات الغربية، وتشجيع الهجرة نحو فرنسا وإنجلترا على وجه الخصوص، حتى يأخذوا بأسباب النهضة >> اختار المصريون محمد علي واليا عليهم، وقد كان محمد علي طموحا، وقد سخر كل شيء لتشييد دولة قوية يحميها جيش منظم يسير على أحدث النظم الغربية، واتجه محمد علي نحو الغرب وخاصة فرنسا يستقدم الخبراء والعلماء، وأخذ يرسل البعثات تباعا

¹ محمد كريم الكواز: البلاغة والنقد، المصطلح والنشأة والتجديد، ص155.

إلى فرنسا ثم إلى الدول الغربية الأخرى، وينشئ المدارس النفسية لخدمة الجيش فأنشأ مدرسة الطب والهندسة والصيدلة وغيرها¹.

اعتمدت مصر في نهضتها العربية على الترجمة وتشجيع البعثات العلمية، حيث فتحت آنذاك بها مدارس خاصة يشرف عليها أساتذة غربيين >>عهد إليهم بالتدريس لطلاب لا يعرفون لغتهم، واقتضى الأمر إقامة عدد من المترجمين بين الطلبة واساتذتهم.. من أمثال "رفائيل زاخور" و"يوسف فرعون" و"محمد عمر التونسي" الذي وضع معجما طبيًا بالفرنسية والعربية، ولقد كان عمله هذا أول خطوة في تجديد شباب اللغة وتزويدها بالمصطلحات الفنية².

كان من يشرف على البعثات العربية نحو الدول الغربية، يحرص على ما بلغته البعثات من معارفٍ >>فكان يجسهم في القلعة عقب عودتهم ولا يسمح لهم بتركها إلا إذا ألفوا أو ترجموا كتابا في المادة التي تخصصوا فيها، فيدفع الكتاب إلى المطبعة... لقد ترجم رفاة الطهطاوي وتلاميذه أكثر من ألف كتاب³. حيث نقلوا الآثار الأدبية الغربية إلى اللغة العربية من ذلك: كتاب الأدب "فينيلون" عن مغامرات "تليماك" تحت مسعى آخر "مواقع الأفلاك في وقائع تليماك"، بل نقل الأدب الأسطوري الخرافي اليوناني، وترجع كتاب رثاء فولتير، وترجم نشيد المارسيليز، الذي يفيض حماسة ووطنية ينشدها الجنود، وهو لون لا عهد للعرب به من قبل. كما ترجمت العديد من المسرحيات الغربية، وكان لها الأثر الكبير في نقل الفكر الغربي والنهوض بالأدب العربي.

باتت الترجمة إلى العربية من أهم الأعمال في العصر الحديث للنهضة الأدبية ومن اللذين نشطوا في عالم الترجمة >>وزودوا اللغة العربية ببعض الآثار الغربية محمد عثمان جلال، فنقل إلى العربية أمثال "لا فوتين وسماها: العيون اليواقظ، كما ترجم بعض روايات "موليير" الهزلية، وروايات راسين وسماها: الروايات المفيدة في علم التراجيدية، وترجم بجانب هذه المسرحيات: قصة بول وفرجين

¹ عمر الدسوقي: نشأة النثر الحديث وتطوره. ص 07.

² نفس المرجع، ص 08.

³ نفس المرجع، نفس الصفحة.

للكتاب الفرنسي "برناردين دي سان بيير"، كما أسهم كثير من السوريين في الترجمة وكان أشهرهم نجيب الحداد، وبشارة شديد وطانيوس عبده¹، هكذا خدمت الترجمة والبعثات العلمية النهضة العربية ومكنتها من شحذ الهمم وصقلها صقلا. كان له كل الأثر في تحقيق التجديد والتقدم.

← **الصحافة:** كان للصحافة العربية شأن عظيم في النهوض القومي، والترويج لمعطى الحداثة. على غرار الترجمة والبعثات العلمية. التي زودت الفكر العربي بالكثير من ثمار الآداب الأوروبية الغربية، إذ تعد >> مطبعة بولاق التي عرفت فيما بعد باسم المطبعة الأميرية، والتي كان لها أثر كبير في احياء التراث القديم. وفي تزويد النهضة بالكتب الجديدة >>² أول مطبعة عربية.

ظلت الصحافة تهتم بالوافد الجديد، وتروج للثقافة بأنواعها إذ تعد "الوقائع المصرية" أولى الصحف العربية إلى جانب "الجوائب" التي كان يصدرها أحمد فارس الشدياق، كان الشدياق شغوفا بالأخذ عن الغربيين وعرف بكثرة ترحاله بين المشرق والمغرب والدول الغربية. كما ظهرت الصحف الأدبية منها "روضة المدارس"، لقد كان للصحافة دور فعال، لا ينكر في ارساء دعائم النهضة العربية. ولعل أهم هذه الصحف بعد الوقائع والجوانب، نجد مجلة البيان لعبد الرحمن البر قوقي >> كانت البيان أول من فطن إلى الروح الجديدة التي تتطلبها الأمة العربية في الأدب، الروح التي تجمع بين الثقافتين العربية والغربية، كتب فيها العقاد وشكري المازيني وطه حسين والرافعي وهيكل³.

مما لا مرية فيه أن المجالات العلمية والأدبية هي من أفسحت الطريق نحو تفكير جديد، تتجدد من خلاله اللغة والتعابير حتى الأساليب. ولم تكن هذه العوامل الداخلية وحدها كفيلة بنهضة عربية بل استدعت عوامل نهضوية خارجية اخرى.

¹ عمر الدسوقي: نشأة النثر الحديث وتطوره. ص12.

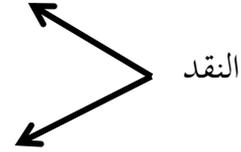
² نفس المرجع، ص07.

³ نفس المرجع، ص249.

2.2-العوامل الخارجية :

← الفلسفة اليونانية: تأثر النقد في الأدب الحديث بمفاهيم جديدة >> تحدد مواقف مدارس واتجاهات النقد الأوروبي الحديث الذي يرى أن النقد فن تقويم الأعمال الفنية والأدبية، وتحليلها تحليلًا قائمًا على أساس علمي.. <<¹، لقد ترجمت كتب أرسطو وأفلاطون الحضارة اليونانية، واعتمدت فلسفة كل منهما على العقل، وتقصي البحث عن الحقيقة، وهو جوهر البحث النقدي ومن العجيب أن يمس التوافق المعنى الحقيقي لمصطلح النقد في لغته العربية واشتقاقه اليوناني القديم.

(ن.ق.د) == < ميز، بين، كشف = < التمييز.



== Criticism < المشتق من الفعل اليوناني القديم بمعنى: التمييز والتحديد.

لقد انبثقت الدراسات الحديثة العربية عن تلك الرؤية الفلسفية، أو ما روج له عند الغربيين بالمعجزة اليونانية السائدة آنذاك وهي: >> نظرية المعجزة اليونانية "Greek Miracle" التي تعني في شكلها العام أن الحضارة اليونانية والفلسفة منها خاصة نتاج خالص للعبقرية اليونانية <<²، لقد ظل الاحتكام لمنطق العقل سليل الفلسفة اليونانية في العصور الحديثة وهو ما يؤكد >> المفكر الفرنسي إرنست رينان E.Renan (1832 – 1892) الذي يه يرجع التفكير المعاصر للحضارة والفلسفة اليونانية بوصفها معجزة <<³، خدمت الإنسانية والعرب.

¹ ينظر: محمد كريم الكوازي: البلاغة والنقد. ص58.

² حسن طلب: أصل الفلسفة - حول نشأة الفلسفة في مصر القديمة وثمات نظرية المعجزة اليونانية، كلية الآداب، جامعة حلوان، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. الهرم، ط1، 2003 ص2.

³ المرجع نفسه، ص13.

← النظرية الانتشارية **Diffusionism**: وهي التي تختص في جانبها الأساسي بما يعرف بـ << cultural diffusion >> عن طريق الهجرة أو الغزو... وغيرها من الوسائل >>¹.

تقوم الانتشارية على فكرة أساسية فحواها الإقرار بالفكر الآخر والطبيعة التأثيرية بين الثقافات المختلفة، ولقد حقق العرب في العصر الحديث أهم هذه الشروط التي وقف عندها اليوت سميث E. Smith لتحقيق أهمية العامل البشري في عملية الانتشار.

تقوم الانتشارية على مقولة أساسية مؤداها أنه لا سبيل أمام ثقافة لكي تنمو وتتطور إلا بالأخذ عن ثقافات أخرى تستلهم ما فيها لتتجدد. ومن أعلامها <> روبرت جرينر R. Graebner، والأب شميدت W. Schimdt >>²

← حملة نابليون بونابارت على مصر: كان للحملة رغم غرضها الاستعماري <> أثر عميق في نهضتها الحديثة، إذ هزت المصريين هذا عميقا، وأيقظتهم من سباتهم الطويل، واطلعوا إبان مقام الفرنسيين بمصر على ألوان من الحياة وضروب من المخترعات، وأدوات حضارية، ونظم ثقافية لا عهد لهم بها، وأدركوا أن ثمة أمما أخرى تعيش وراء البحر... انتهجت في الحياة نهجا جديدا يدعمه العلم والصناعة. >>³

اهتم العرب حديثا بصورة الغرب المتطورة وقد وصف <> عبد الرحمن الجبرتي في تاريخه: مبلغ الدهشة التي أبداهها مثقفو المصريين من هذه المظاهر حيث أتيح لهم الاطلاع عليها، كانت حملة نابليون مزودة بكل وسائل الفتح... كانت هذه الحملة أول اتصالا وثيق بين مصر وأوروبا. >>⁴

¹ حسن طلب: أصل الفلسفة، ص31.

² راجع، نفس المرجع، ص36.

³ عمر الدسوقي: نشأة النثر الحديث وتطوره، ص7. ما ورد في مقدمة.

⁴ نفس المرجع، نفس الصفحة.

رغم الطبيعة الاستبدادية الاستعمارية للحملة الصليبية البونابرتية غير أنها اسهمت بشكل فعال، في مد المجتمعات العربية بمختلف الثقافات الأجنبية، كما كان لها الفضل في اطلاع العرب على التقدم الأوروبي في جميع مجالات الحياة في العلوم والمعارف والهندسة والطب وحتى في طرائق التعليم الحديثة، كذلك مختلف الفنون المسرحية منها والآداب. هكذا رسمت حملة نابليون بونابرت الخطوط العريضة للنهضة العربية، كما شجعت الكتابة وأمدتها بالحرية التعبيرية.

-الفكر اللساني السويسري:

نالت محاضرات فار ديناند دي سوسير F.D Sausere اهتماما واسعا من طرف الباحثين العرب، كونها تقدم تصورا جديدا للغة وعلم اللغة، حاول العالم الألسني السويسري تحري الدقة العلمية في مفاهيم تتعلق مادتها الأساسية >>بمبادئ علم الأصوات، وطبيعة العلامة والتنوع اللغوي وقضايا لغوية جمة<<¹.

وكما كانت اللسانيات >>في أبسط تعريف لها هي: دراسة اللغة على نحو علمي<<². لقد استفادت العرب في نهضتها الحديثة من الفكر السويسري اللساني الحديث، لأنه أوضح اختصاص اللغة ومناهجها وحدودها. كما أثرى اللسانيات >>حتى صارت باعثا لنهضة علمية، تولدت عنها علوم ومناهج جديدة<<³. ومجاور عدة تخلق علاقات زمنية، أو ما يعرف بالسنكرونية + الوصفية- والديكرونية- التاريخية، لا ينكر أي باحث عربي فضل تلك المحاضرات السويسرية في الألسنية العامة التي خدمت اللغة العربية فكرا وتحليلا، وما نختم به هاتين المحاضرتين ما يلي:

¹ راجع ما ورد في: فرديناندي سوسير: محاضرات في الألسنية العامة، تر، يوسف غازي ومجيد النصر. المؤسسة الجزائرية للطباعة 1986، ط1. ص4-10.

² عالم اللغة السويسري فرديناد دي سوسير:

← لا ينفصل >>النقد عن الأدب، هو موضوع النقد وميدانه الذي يعمل فيه>>¹ لا تحقق للأعمال الإبداعية في تغيب النقد أو تجاهله.

← الطبيعة المتغيرة للأدب والنقد معا. تفرض التلازم بينهما >>إذا كان الأدب بطبيعته ينزع إلى الحرية والتجديد واكتشاف آفاق جديدة يخلق فيها، ويعبر عنها>>². فإن النقد تابع له في ذلك لا محالة.

← يبقى مصطلح "النقد الأدبي" بمعناه الحدائي لم تعرفه لغتنا العربية في العصر الحديث إلا بعد اتصالها بالغرب. ويعني في ممارسته بتلك الأساليب والطرائق المتبعة في تقفي الآثار الإبداعية، بقصد الحفر والتنقيب مع اعطاء أحكام تفسر العلل.

← ارتبط مفهوم النهضة العربية بمعاني التقدم والتأثر بالآخر الغربي -الأوروبي. وهو ما كان فعلا عن طريق عدة عوامل داخلية وأخرى خارجية، منها شيوع الحركات الإسلامية المنددة بالقضاء على الجهود والتخلف وتكريس مبدأ الدفاع عن الهوية، ومرافقة الكتاب، والسنة للقضاء على الجهل، فتح باب تخليص الأرض من براثن المستعمرات الأجنبية وهنا كان الشعر والأدب خادمين للشعب كونهما لسان حال يعبر عن الواقع ويحاول تغييره تغيرا يليق بالإنسانية.

من أهم العوامل النهضوية، الافتخار بمحكي الانتساب للأندلس والتأثر لفقدائها، مما جعلهم يتذوقون مرارة الفقد ويعوضون ذلك بالتقدم ومواكبة الدول المتطورة.

← أفادت الترجمة، وتشجيع البعثات العلمية الطلايية النهضة العربية أيما إفادة، وذلك بنقل أكثر الكتب أهمية من لغتها الأجنبية إلى اللغة العربية، وقد ساعدها في ذلك وفرة المطابع العربية، وكثرة الصحف والمجلات.

¹ محمد كريم الكواز: البلاغة والنقد. المصطلح والنشأة والتجديد، ص45.

² نفس المرجع، نفس الصفحة.

← لم تكن العوامل الداخلية وحدها كفيلا للنهوض بالعالم العربي نهوضا حداثيا، ما لم تتوافر تلك العوامل الخارجية التي أسهمت هي الأخرى أيما اسهام في إشاعة التقدم والتطور من أهمها، الخروج عن سيطرة الكنيسة التي كانت تتحكم في العقل وتغييه أمام سلطة الدين، هذا الخروج قدم هامشا كبيرا للعقل، وضرورة تقصي الحقائق به. كما كان كل الأثر بما يسمى بالنظرية الانتشارية، وهي التي أقرت بالفكر التأثري عن طريق المثاقفة، فجعلت نهضة العرب تعتمد على الأخذ من ثقافات أجنبية، كلما كان الاعتماد قويا كلما كان النهوض أقوى.

← تنضاف إلى هذه العوامل الخارجية عامل الحركات الاستعمارية وعلى رأسها، حملة نابليون بونبارت على مصر التي أدهشت بالتطور والتقدم التي فرضته المصريين. تقدم عسكري، وسياسي، واقتصادي، وعلمي، وأدبي كذلك. إذا كانت حملة نابليون بونبارت قد أعلنت نهضة العرب في جميع الميادين، فإن محاضرات سوسيير هي الأخرى قد رافقت بترجمتها إلى العربية نهضة العرب في ميدان العلوم الإنسانية والمعارف.

المحاضرة الثالثة: النقد الإحيائي.

تمهيد:

لقد قوي حديثًا اتصالنا بالغرب اتصالاً وثيقاً، واشتد أخذنا عنه أخذًا يكاد يُغيب الصورة العربية الأولى، وهاهنا احتاج الأدب العربي بنقده إلى معاودة النظر فيما كتبه الأقدمون؛ ولما كان "هذا تراثنا قد ساهم في تكوينه رجال كثيرون، ونهض بأعبائه أجيال متتابعة، علينا أن نبني حاضرنا على أساس من ماضينا، وأن نستفيد من جهود آبائنا وما وصلوا إليه من نظرات صادقة، وأن لا نخضم أسلافنا ونعمطمهم حقوقهم"¹.

1- الإحياء معجمياً: وردت "إحياء (اسم) بمعنى (المصدر) أحياء: من يقدر على إحياء الموتى: على إعادة بعث الحياة. إحياء الأرض: إخصابها جعلها للزراعة، علم الأحياء، علم يبحث في مجمل الكائنات الحية الحيوانية أو النباتية ويعرف بإنتاجها وعلاقاتها وتطورها، بعث الحيوية والنشاط، أما إحياء التراث الأدبي: (آداب) نشر الأدب العربي القديم واتخاذ مثالا رفيعا في الإنتاج الأدبي، إحياء علوم الأدب: (آداب) تسمية أطلقت على حركة التراث القديم اليوناني والروماني في الحياة الأدبية لعصر النهضة في الغرب، أما مدرسة الإحياء والبعث: هي مدرسة أدبية عربية ساعدت على نهضة الأدب، ورائدتها الباوردي² كما تظهر معان معجمية أخرى "الحيا: المطر، أحياء: بث الحياة في الهامد، يتحدد المعنى الدقيق المراد من كلمة إحياء بما تضاف إليه فإحياء البيت الحرام: عمارته بالحج والعمرة، وإحياء السنة: العودة إلى العمل بها بعد هجرها"³.

¹ أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، ص 11.

² جبران مسعود: الرائد معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 7، 1992، ص 30 (خ ي ي): يراجع معجم المعين (أحيا)

³ ينظر: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرف، بيروت، لبنان، ط 2، 2001، بان الألف

لقد اهتمت معظم المعاجم العربية في جعل "الإحياء" يقوم على بث الحياة وإعادتها إلى صورتها العربية بعد تأثرها بالثقافة الأجنبية شكلاً ومعناً، ارتقى هذا المفهوم المعجمي إلى تكوين مدرسة الإحياء والبعث.

2- **مدرسة الإحياء والبعث:** اسم يطلق على الحركة الأدبية التي ظهرت في مصر تحديداً في أوائل العصر الحديث، حيث التزم فيها الإحيائيون نهج شعراء العصر الجاهلي حتى العصر العباسي. ويعد محمود سامي البارودي من أشهر من انتهج هذا النهج التقليدي إلى جانب "أمير الشعراء" أحمد شوقي "وشاعر النيل" حافظ إبراهيم "وأحمد محرم"، علي الجارم وغيرهم، لقد آمن رواد هذه المدرسة الإحيائية بمبادئ البعث العربي، وتجربة إعادة الحياة وبثها من جديد فردوا الشعر إلى أصوله، وبعثوا فيه الحركة.

لقد أشفق كثير من المحافظين على ثقافتنا العربية من ذلك الغزو الفكري العربي >> فقال محب الدين الخطيب في الفتح في 9 يناير 1930 تحت عنوان الاستعمار الفكري في الشرق: إن موقفنا الفكري والثقافي دقيق جداً، ومن أكبر المصائب على الشرق العربي أن تكون فيه القيادة ضعيفة إلى حد لا يكون لها صوت مسموع في تعيين الطريق التي يجب أن نسير فيها، وألا يكون لها رأي متبع فيما ينبغي أخذه، وما ينبغي مقاطعته من بضائع الفكر الغربي وألا تكون لها تشكيلات منظمة لوضع الغذاء الفكري بين أيدي الجماهير حتى ينفذوا به عن مد أعينهم إلى ما يأتيها به الغرب من دسم مشوب بالسّم <<¹.

كما أراد بعض المتطرفين قطع الصلة بالماضي اشتدت حمى المحافظة على الأدب العربي من المسخ والتشويه وعن هذا >> يقول الزيات: إن أدبنا اليوم يجهل اللغة العربية، ويعلم اللغة الأجنبية، ويقرأ الأدب الأجنبي، ويغفل الأدب العربي... <<².

¹ عمر الدسوقي: نشأة النثر الحديث وتطوره، ص 263.

² المرجع السابق، ص 264.

وجد الأديب والناقد العربيين نفسيهما أمام فيض من الكلمات الأعجمية التي لا تجد لها ما يقابلها في العربية وهكذا اصطدم واقع الكلمات بتلك الثقافة الغربية المتوارثة؛ فبات العربي يعاني غربة لغته، وهي مشكلة قامت ردحا من الزمن نظرا لما يعرف بالحدائثة التي اتخذت موقعا فكريا بارزا في عالمنا . أصبحت الحدائثة حسب المدرسة الإحيائية >> محل مراجعة ... وقد بدأت عملية المراجعة هذه أساسا من داخل النقد الأدبي <<¹.

إذا كانت الحدائثة العربية في شكلها تقوم على فكرة تدمير النظم القديمة للتحرر والإبداع، فإن حركة الإحياء هي العودة للتراث بتصورات الواقع.

ترددت أصوات الإحياء في دواوين معروف الرصافي، جميل الزهراوي إبراهيم اليازجي، أمين نخلة، محمد مهدي الجواهري: سعيد العيسى، مصطفى خريف، محمد سعيد العباس، محمد عمر البناء وغيرهم ممن سار على هذا النهج الإحيائي.

تشكلت المدرسة الإحيائية من مختلف المنطلقات الفكرية (الدينية، الأدبية، النقدية، الاجتماعية...)، كما تأثر روادها بثقافة الأسلاف ومذاهبهم التقليدية الأدبية، وأكثر ما زاد اهتمامهم بالإحياء، التكوين النفسي الاجتماعي الذي يبعث الحنين للماضي.

عكف الإحيائيون على قراءة الشعر العربي القديم، ونماذجهم البيانية الممتازة فلجأوا للقديم مجسدين في ذلك مقولة: كأننا حيث نطالع هذا الشعر الإحيائي، رغم ما قد تتضمنه بعض القصائد من موضوعات ومواقف عصرية، إنها الرؤية إلا أنهم أنقذوا الشعر من عثرة الركافة، وأعادوه إلى ما كان عليه فتيا في العصر الذهبي، فهم بذلك بعثوه من جديد.

¹ آلان تورين: نقد الحدائثة، ترجمة: أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، 1997، ص16، وللاستزادة ينظر: Alain Touraine: critique de la modernité . Paris. Fayard. 1992

لقد أثبت النقاد الإحيائيون بأن ضعف اللغة العربية في النصوص الإبداعية الحديثة، يعود إلى جهل القواعد بها وهكذا اشترطوا قوة اللغة وجزالة الألفاظ، وسلامة التعابير، فينبغي للغة أن تعود إلى حياتها القديمة وتعبر في ذات الوقت عن قضايا الأمة، وقضايا المجتمع السياسة، والوطنية، والاجتماعية.... الخ.

سمات مدرسة الإحياء:

اتسم نهج الإحيائيين بسمات جوهرية تعكس هدف المدرسة وأبعادها المنشودة نذكرها فيما يلي:

- المحافظة على نهج الشعر العربي القديم في بناء القصيدة العربية.
- الالتزام بنظام تقفوي موحد أي القافية الواحدة في القصيدة.
- الاهتمام بالأغراض الشعرية التقليدية، فنظموا في المديح والهجاء والثناء.... الخ.
- الاهتمام بالمقدمات التقليدية من طللية وغزلية وزهدية... الخ وجعلوها تتصدر قصائدهم الشعرية، وفي هذا المقام نذكر ما أنشده أمير الشعراء "أحمد شوقي" في مطلع قصيدته التي وقف وبكى الدمن والديار في قوله:

قُمْ نَاجٍ جَلِّقْ وَاثْشُدْ رَسَمَ مَنْ بَأْتُوا * * * مَشَتْ عَلَى الرَّسْمِ أَحْدَاثٌ وَأَزْمَانُ
وقوله:

أُنَادِي الرَّسَمَ لَوْ مَلَكَ الْجَوَابَا * * * وَأُجْزِيهِ بِدَمْعِي لَوْ أَنَابَا
لم يكن أحمد شوقي من أتى على مقدمة طللية فحسب، بل جعلوا الظل عنواناً لقصائدهم، وهو ما كتبه الشاعر العربي "محمود غنيم" في قصيدته "وقفة على الطلل" يشكو حال المسلمين وكيف كان تلاحمهم فيقول:

إِنِّي تَدَكَّرْتُ وَالذِّكْرَى مُؤَرَّقَةٌ * * * مَجْدًا تَلِيدًا بِأَيْدِينَا أَضْعَانَا

أنى اتجهت إلى الإسلام في بلد ** تجده كالطير مقصوفاً جناحاه
ويح العروبة كان الكون مسرحها ** فأصبحت تتوارى في زواياه¹
لقد نهجوا منهج القصيدة العربية القديمة، ويرجع كل الفضل لشعراء ونقاد المدرسة الإحيائية في
انتشال الشعر العربي من التلاعب بالألفاظ، فحاولوا أن يعيدوا الشعر خاصة إلى طبيعته التقليدية من
حيث: البناء والوزن وتعدد الأغراض والموضوعات والتزموا الأوزان الشعرية.

اهتم الإحيائيون بالشعر القصصي كما هو واضح عند "أحمد شوقي" و"حافظ إبراهيم"
و"الرصافي واليازجي" التي بلغت مسرحيته الشعرية "المروءة والوفاء" ألف بيت، كما ألفوا المسرحيات
وهو ما نجده عند أحمد شوقي "مصرع كيلوبترا".

حافظ الرواد من مدرسة الإحياء على عمود الشع وركائز المسرح فقد استلهموا التاريخ المجيد،
وتلبسوا بالإيمان الخالد المنقذ، فرفعوا راية الإسلام بقناعة عقلانية ووجدان يفيض حباً، رغم ما حققته
مقولة عباس محمود العقاد كون المحافظ يبقى محافظاً سائراً على طريقة القدامى، إلا أننا لمسنا تلك
الجوانب البراقة في نهج الإحياء فهم من استحدثوا أغراضاً شعرية جديدة لم تكن معروفة كالشعر
الوطني والقصص المسرحي، اهتمامهم بالأمة عن صدق تجربة إذ يعبرون عن تجاربهم النفسية. ينشدون
تحقيق الشعر الهادف والمهذب للأذواق والمصلح للمجتمع.

لا ينكر الباحث العربي فضل البارودي وما قدمه لمدرسة الإحياء: >> فقد رجع بالشعر إلى
العصر العباسي، فرسم آثار أبي نواس وأبي فراس والمنتبي<<². اقتفى آثار الأجداد لغة وغرضاً.
لقد ساهمت الحركة النقدية العربية مدرسة الإحياء، وتجمع البحوث النقدية الحديثة على أن رائد
هذه الحركة النقدية الحديثة هو "الشيخ حسن المرصفي وكتابه الوسيلة الأدبية" وهو من تتلمذ على

¹ مسعد بن عبد العطوي: مدرسة الإحياء، مقال إلكتروني، ضمن الرابط الآتي: <https://www.alutih.alukah.net>

² محمد عبد المنعم خفاجي: مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1995، ص88.

يديه البارودي, كما شهد له تلميذه طه حسين وامتدح فيه جهة الذوق وارتقاءه إلى مرتبة الجزالة عن فطرة لا عن تكلف أو تصنع"¹.

الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية:

الشيخ حسين المرصفي: (1815-1889), هو شيخ الأدباء في مصر في عصر الخديوي إسماعيل, نشأ في أسرة علمية, كان والده أحمد المرصفي من أئمة العلم في عصره, درس الشيخ بالأزهر الشريف كُفَ بصره وهو في الثامنة من عمره, أتقن المرصفي الفرنسية كتابتا ونطقا على طريقة بريل للعمى, اختر ليلقي محاضرات في دار العلوم: برع في الشعر والأدب, قال عنه علي مبارك في الخطط التوفيقية أنه كان من أجلاء عصره وأفضلهم وله اليد الطولى في كل فن, توفي عن عمر يناهز 75 عاما.

من مؤلفاته:

ترك الشيخ المرصفي إرثا لغويا ونقديا يشهد عنه كل باحث عربي ترك لنا: الكلم الثمان في علم الاجتماع, إذ يعد من أمهات الكتب في علم الدلالة السياسي بل يعد الكتاب الأول حسب النقاد في هذا المجال كما يقول أنور عبد الملك ومحمد حافظ دياب, إذ ارتبط هذا الكتاب بالأمة والوطن والحكومة والعدل والظلم والسياسة والحرية والتربية.

كتب المرصفي "دليل المسترشد في فن الإنشاء" وهو كتاب من ثلاث مجلدات تقع في نحو ألف صفحة وهو مجموعة من المحاضرات في النشر الفني, تناول فيها الشيخ: عدة علوم تتعلق بفن الكتابة مثل الأدب وتاريخه ونقده وعلم النفس والمنطق والتربية والفقهاء وعلم الحياة.

¹ حلمي مرزوق: تطور النقد الأدبي الحديث في الربع الأول من القرن العشرين, دار النهضة العربية, بيروت, 1982, ص72-76-77.

يبقى أهم كتاب "للشيخ المرصفي" في الساحة النقدية العربية كتاب "الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية وهو موسوعة لغوية تقع في مجلدين طبع الأول منهما ويقع في 214 ما مائتان وأربعة عشر صفحة عام 1875 والثاني سبع مائة وثلاثة صفحات، عام 1879 ويتضمن الكتاب مجموعة من المحاضرات التي ألقاها الشيخ في دار العلوم، وفيها تناول بالدرس أكثر من اثني عشر علما منها: اللغة وأصولها، النحو والصرف والبلاغة والعروض والقوافي والإملاء وصناعة الترسيل، وقرض الشعر وتاريخ نشأة الفنون وتدوين العلوم وتاريخ التربية، وتاريخ الكتاب والنقد الأدبي.

يعتبر الشيخ المرصفي أول ناقد في العصر الحديث، فهو همزة وصل بين النقد القديم والنقد الحديث وهو ما يعكسه كتابه "الوسيلة الأدبية" والذي قال عنه مصطفى صادق الرافعي:

>> وليس السر في هذا الكتاب ما فيه من فنون البلاغة، ومختارات الشعر والكتابة فهذا كله في مصر قديما، ولم يخرج لها شاعر كشوقي، ولكن ما في هذا الكتاب من شعر البارودي<<¹. كان المرصفي هو باعث النصوص القديمة بوجه جديد وقد صدق شكيب أرسلان عندما رد فضل ما قام به محمود سامي البارودي من احياء إلى الشيخ حسين المرصفي في قوله: >>والظاهر أن الوسيلة الأدبية للمرصفي بما فيه من شعر البارودي أنشأت أكثر من شوقي وحافظ<<².

كان المرصفي بعثا جديدا للتراث مع الحفاظ على الذاكرة وتصويب اللغة، وقد رسم طريقا يسير على جنباته معاصريه وتلاميذه لتجويد انتاجهم الشعري والنثري والسمو بهما الى مراتب عليا من الجمال متخذين في ذلك >>حفظ أكثر ما يمكن لهم من الشعر الجزل القديم حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها ويتخير المحفوظ...<<³ وهو ما أكده الشيخ المرصفي في قوله: >>اعلم أن لعمل الشعر واحكام صناعته شروطا أولها الحفظ من جنسه أي جنس شعر العرب حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها ويتخير المحفوظ المختار أقل ما يكفي فيه شعر شاعر من الفحول

¹ حلمي مرزوق: تطور النقد الأدبي الحديث، ص77.

² نفس المرجع، ص80.

³ محمد مندور: النقد والنقاد المعاصرون، نخبة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1997، ص92.

الإسلاميين مثل ابن أبي ربيعة وكثير وذي الرمة وجرير وأبي نواس وحبيب والبحتري والرضي وأبي فراس وأكثره شعر كتاب الأغاني لأنه جمع شعر أهل الطبقة الإسلامية كله والمختار من شعر الجاهلية ومن كان خاليا من المحفوظ فنظمه قاصر رديء ولا يعطيه الرونق والحلاوة إلا كثرة المحفوظ، فمن قل حفظه أو عدم لم يكن له شعر وانما هو نظم ساقط واجتناب الشعر أولى بمن لم يكن له محفوظ، ثم بعد الامتلاء من الحفظ وشحد القرينة للنسج على المنوال....، وخير الأوقات لذلك أوقات الذكر عند الهبوب من النوم وفراغ المعدة ونشاط الفكر وقالوا من بواعثه العشق والانتشاء¹. ومن هنا توجب على المبدع أن يراجع ما كتبه >>وليراجع بعد الخلاص منه بالتنقيح والنقد<<².

يعتبر كتاب "الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية" >>أهم الكتب في مجال النقد والدراسة الأدبية، لمؤلفه الرائد "حسين أحمد المرصفي"، المصنف ظاهرة باهرة من الظواهر العلمية والأدبية في مصر في القرن التاسع عشر، والكتاب نقطة تحول في مجال النقد والدراسة، أثر تأثيرا عميقا في الحياة الأدبية والفكرية، وشكل ذوق رواد النهضة الأدبية والفكرية. ذلك النابغة مكفوف البصر الذي استطاع أن يتقن العربية ويتبحر في علومها، وأن يترجم عنها<<³ وهو الذي تعلم على طريقة Brille، فأفاد واستفاد.

اجتمعت في الوسيلة الأدبية آراء وأفكار رائدة >>كان لها أعمق الآثار، وبها قضايا ربما كانت تثار لأول مرة في العصر الحديث ومنها: الحديث عن اللهجات العامية بطريقة موضوعية، دراسة علوم جديدة مثل فقه اللغة، مناقشة نصوص لشعراء وكتاب معاصرين، بطريقة تحليل النصوص وتدقيقها، تحليل الأدب بصورة تقرب من التحليل النفسي. ولا شك أنه أول من أرسى قواعد المنهج التاريخي في الدرس الأدبي<<⁴

¹ حضرة الشيخ حسين المرصفي: الوسيلة الأدبية للعلوم العربية، مطبعة المدارس الملكية ندرج الجماهير - القاهرة المحروسة. ج2. 1292 هجرية، ص468.

² نفس المصدر، ص469.

³ حسين المرصفي: الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية، حققه وقدم له عبد العزيز الدسوقي، مركز تحقيق التراث الهيئة المصرية العامة للكتابة، ج1، 1982، ص11.

⁴ المرجع السابق، ص24.

رغم العاهة التي كان يعاني منها الشيخ المصرفي إلا أنه خدم اللغة العربية والأدباء والشعراء، فأمدهم بمقاييس الإبداع بين ماض يتسلل وحاضر يرجو التحقق. إذا كان النقد الإحيائي في صورته العربية قد استمد قوته من الوسيلة الأدبية للعلوم العربية للشيخ حسين المصرفي، فإن الحركة الأدبية النقدية الغربية هي الأخرى استمدت معالم الإحياء من المدرسة الكلاسيكية المشتقة من "classics".

لقد كان الأدباء الغرب ينظرون إلى القدماء نظرة احترام وتبجيل، ويعتبرونهم بمثابة الأساتذة الشرعيين، ولذلك عمدت المدرسة الكلاسيكية إلى محاكاة القدماء وتقليدهم، >> إذ بلغ احترام القدماء والتعويل عليهم أقصى درجاته عند "راسين" و "لافونتين" و "بوالو" الذي كان يرى أن تقليد القدماء أفضل شيء. كما يقول لافونتين: إنك إذا احترت طريقاً آخر غير طريق القدماء فسوف تظل <<¹.

تشير الأبحاث الغربية إلى مفهوم الكلاسيكية كونها المذهب الأدبي الذي ظهر في أوروبا بعد حركة البعث العلمي في القرن 16م. ويطلق عليه المذهب الإتياعي، ومذهب المحاكاة... إلخ، لأنه يتجلى في محاولة إحياء الآداب القديمة كالاتينية واليونانية ومحاكاتها.

أراد أتباع المدرسة الكلاسيكية أن يجعلوا من الآداب القديمة نصوصاً خالدة، أول ظهور للمصطلح في القرن التاسع عشر في إيطاليا، ثم شاع في أوروبا. غير أنه كممارسة ظهر كما أسلفنا الذكر في ق 16.

سمات الكلاسيكية: اتسمت هذه المدرسة الغربية بسمات أرى أنها تشترك مع مدرسة الإحياء عند العرب ندرجها تباعاً فيما يلي:

← تقليد القدماء: لقد اهتمت الكلاسيكية بأدب القدماء وأرادت أن تتقصى أثرهم، فأنجبت لنا بلزاق وموليير وراسين ولافونتين.

¹ جاسم حميد جودة الطائي: المدرسة الكلاسيكية، موقع الكتروني على الرابط: www.uobabyl.edu.

← تقديس العقل: أهم مبدأ تقوم عليه الكلاسيكية هو العقل الذي تتجافى معه الأحيلة والمبالغة. بل اعتماد الحقيقة لا غير.

← الدعوة إلى الأخلاق واستعمال اللغات المحلية لإثراء لغتهم بشتى المفردات.

← اعتماد الإنسانية: قامت الكلاسيكية على تكريس مبدأ الفن خادما للإنسانية وللنفس البشرية، يتكلم عن آلامها وآمالها ويعكس واقعها.

لا يمكن أن ننكر فضل رواد الكلاسيكية اللذين أخرجوا النص من المغالاة والاستقلالية فجعلوه يعيش اتباعية محمودة.

أهم رواد الكلاسيكية:

1) لافونتين (1621م-1695م): الأديب الفرنسي جان دولافونتين أهم رواد الكلاسيكية، كتب القصص الخرافية والنوادر.

2) موليير (1622م-1673م): أديب فرنسي اسمه الحقيقي جون باتيست بوكلان الملقب بمولير، أستاذ المسرح الأوروبي.

3) جان راسين (1639م-1699م): كاتب الدراما الفرنسية، وأهم رائد للكلاسيكية في ق. 17.

4) كورني بيير (1606م-1684م): تراجيدي فرنسي شهير من أعظم من انتهج الكلاسيكية.¹

مما لا شك فيه أن المدرسة الإحيائية في صورتها العربية أو الأوربية قد خدمت الإنسانية بدرجة أولى. وهي المحافظة على تراث القدماء، فمنعت موت الألفاظ في معجمها القديم ولغاتها السائدة، مكنت المبدع أن يعيش الواقع بلغة عريضة، تمنح هامشا كبيرا في تحقيقها للعقل. تبقى الكلاسيكية إلى اليوم >> تناشد نقاء اللغة، وسمو المعاني فهي منصب لتقعيد أدبي صارم، يقتدي بأساليب القدامى <<² كيف لا وهي من انطلقت من نظرية المحاكاة الأرسطية.

¹ تمام طعمة: أهم رواد المدرسة الكلاسيكية. <http://stor.com>.

² سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة. دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان. سوشريس الدار البيضاء، المغرب. طبعة 1. 1985، ص194.

المحاضرة الرابعة: إرهاصات الجديد في النقد الحديث

تمهيد:

لقد عرفت النصوص الإبداعية في العصر الجاهلي والإسلامي والأموي، فكان للتنافس الحظ الأوفر بلغ الابداع ذروته في العصر العباسي وبعد ذلك تعرض الأدب لنكسة كبرى في عصر الانحطاط، لقد انحط الشعر إلى أسوء المراتب، فلم يعد يعبر عن شعور أو فكرة أو موقف، بل فقد القدرة على حمل المعاني وأصبح ألباناً وأحاجي، وتمرينات عروضية وذهنية، ركود فكري وأدبي ونقدي احتاج لنهضة تعيد بريق الماضي.

برع الحداثيون في رسم ذلك البريق وفقاً لمعطى النهضة، إلا أن هذه النصوص هي الأخرى شهدت نقداً في حداثتها المفرطة فباتت هي الأخرى تحن لما يسمى بالتجديد؛ تجديد المعاني، والألفاظ بل حتى الأوزان الشعرية والأغراض.

1) المعنى المعجمي للمصطلح: "التجديد" يقال: جدد الشيء.

>> جدد: استحدثه وصيره جديداً. استجد قصيدة: نظم قصيدة جديدة.

مستجدات الحياة العصرية: تجدد البيت: صار جديداً، تجدد نشاطه عاد إليه وجمده، والمفعول مجدد. جدد الأديب: جاء بالجديد وأبدع وابتكر، جدد الشعراء المعاصرون في شكل القصيدة: حركة التجديد في الشعر مستمرة، جدد الشيء: أي صيره جديداً حديثاً، جدد أسلوبه الروائي. <<¹

2) مفهوم التجديد: أكثر المصطلحات شيوعاً في الأبحاث العربية، ولا يختلف المعنى المعجمي عن المفهوم فالتجديد: >> مصدره تجدد: إعادة تكوين جزء بعد إصابته أو فقده "تجدد الأنسجة العظمية"، والتجديد في الأدب: مصدره جدد: إتيان بما ليس مألوفاً أو شائعاً كابتكار موضوعات أو أساليب تخرج عن النمط المعروف والمتفق عليه جماعياً، أو إعادة النظر في الموضوعات الرائجة، إدخال تعديل عليها بحيث تبدو مبتكرة لدى المتلقي: صار من رواد التجديد المسرحي، إبدال التزام

¹ أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، المجلد1، 2008، ص348.

قديم بآخر، أما المدرسة التجديدية: فهي محاولة بعث روح جديدة في عمل أوفت وتحوله إلى ما هو أفضل: " لمحت آثار التجديدية في أفكار، بدر شاكر السياب وصلاح عبد الصبور من رواد التجديدية في إيقاع الشعر العربي" <<¹. فالتجديد >> عكس التقليد الذي يعبر عن اتباع الإنسان غيره ، كأن هذا المتبع يجعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه >>².

لم يلبث الفكر الكلاسيكي حتى حمل بذور فئائه في اتباعيته المفرطة ، فاتجه الفكر مرة أخرى >> إلى البحث عن مدرسة جديدة تثبت فاعلية الأفراد... فالفكر الكلاسيكي ليس فعالا.... وهو الذي يقتضي بلورة مفاهيم جديدة ومعالجة منهجية مبتكرة. لأن وظائف وأدوار المكونات الاجتماعية تختلف اختلافا جذريا عن مثيلاتها في الكلاسيكية >>³

يطمح الفكر التجديدي في أوروبا إلى أن تكون >> الذات هي اسم الفاعل، وهي التي تشكل عصب الحركات عن طريق طرحها للتوجهات الجديدة، هذا التصور هو الذي يجعل الجديد يختلف نوعيا عن الكلاسيكية ... معجبٌ بمتقفي عندما يتكرون ممارسات بحثية جديدة، وعندما يمسون بجوانب خبيثة في حياة المجتمع كما يفعل شتراوس وفوكو ولكن إذا لم يكن لنا دور آخر من الأفضل للمرء أن يهاجر على أن يكون مقلدا أو مفسرا >>⁴.

يحتل موضوع "التجديد" موقفا فكريا بارزا في عالمنا المعاصر، وهو مصطلح ارتبط بعصر النهضة إلى اليوم، وهو ما كان يستلهم الأدباء والمفكرين حتى جعلوا الحياة الحديثة طريق للأبدية ،وهو ما قال به بودلير "Baudelaire" ، تتحد فكرة "التجديد" في شكلها مع فكرة التحلي عن النظم القديمة، والانتقال إلى ما بعد الحداثة.

¹ ينظر، أحمد مختار عمر، المصدر السابق، ص349.

² الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، 2004، ص58.

³ آلان تورين: نقد الحداثة، ص10.

⁴ المرجع السابق، ص11-14.

بعد ما عاش المبدع الحداثة، وتمثلها ثورة وفلسفة تنويرية تؤكد مرة أخرى الإيديولوجية الغربية على الانتصار ل: >>"modernité أو modernisme" مع ما يسميه جان إرار " jean Ehrard" النظام الأخلاقي والنظام الجمالي فهو حلم القرن الكبير <<¹.

إرهاصات التجديد عند العرب:

إن النهضة في مصر سبقت سواها من أقطار العرب كالعراق والشام، لقد شبت اللغة وقويت فأخذت تنمو وتزدهر، أخذ مثقفو مصر تيار الثقافة الغربية على عاتقهم فجلبوا موضوعات جديدة وأفكار حديثة وكلمات حية فحاولوا أن يجاوروا ثقافة الغرب وينهضوا بلغتهم². >>لتحرير ذاتها من قبضة التقليد والاستنساخ وإعادة الإنتاج سواء للقديم التراثي أو للحديث الأوربي <<³.

أثر الصحافة في تطور الأسلوب:

لقد اشتدت اللغة العربية قوة بعد شيوع الصحافة في الأقطار العربية، المبدع يمارس حرية الكتابة التي باتت حقا يكفله القانون ومن بينها: صحيفة "الوقائع المصرية" التي كانت تحرر بالتركية أولا ثم بالعربية، نهضت "الوقائع" لتعمل على ترويج الثقافة بشتى أنواعها في عهدها الجديد، كانت تحرر بها المقالات، فمنذ ظهور أول عدد لها أخذ الأدباء يجددون حاملين نهضة النشر.

وفي هذا المقام التجديدي >>يقول عبد الله فكري: ولا مرية في أن صحف الأخبار، وهي الحافلة بهذه المزايا الطائفة، باستخراج فرائد الفرائد من خبايا الزوايا، فهي جهينة الأخبار، وخزينة ذخائر الأفكار وصقيل الأذهان، ومرآة حوادث الزمان، وهي المجلس الذي تعجب نوادره والأنيس

¹ آلان تورين، المرجع السابق، ص33.

² انظر: عمر الدسوقي: نشأة النثر الحديث وتطوره، ص50.

³ صلاح السروي: تحطيم الشكل ... خلق الشكل، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مايو 1997، ما ورد في مقدمة الكتاب.

الذي يطرب حديثه من يسامره...>>¹. ومما كان له الأثر في قوة الأسلوب وتجديده، وتوسيع الأفكار وإثرائها، نشر الكتب المفيدة مسلسلة سواء علمية أو أدبية.

انتشرت صور الرحلات في الصحافة المصرية فبدأت رحلة الكشوف والسياحة فوصلت المثقفين العالم الخارجي، وأثرت معلوماهم، وأطلعتهم على ألوان من الحياة لا عهد لهم بها، لقد كان لصدور صحيفة الجوائب لأحمد فارس الشدياق 1861م أثرٌ في التحرر والتجديد على أوسع نطاق، لماذا الشدياق؟ لأنه حذق اللغة العربية وتمكن من اللغات الأخرى، ونظرا لكثرة رحلاته واختلاطه بالغرب: كتب عن هذه الأسفار بأسلوب جديد تصويري وصفي، >> لقد اجتهد في وضع الكلمات العربية المقابلة للكلمات الأجنبية>>².

زاد الاهتمام بالثقافة الغربية لما لاحظوه من أنماط تجديدية ها هي "مجلة المقتطف" أولى المجالات الأدبية العربية التي تعبر عن الثقافة الأدبية الأجنبية >> تولت مي زيادة منذ 1933 تقديم شخصية أدبية غربية في كل عدد من المجلة في باب: شخصية الشهر>>³.

توالت المجالات العربية الواحدة تلو الأخرى، وقد تفتن أصحابها إلى الروح الجديدة التي تتطلبها الأمة العربية في الأدب، لم تكن المجالات لوحدها من كشفت روح التجديد لدى القارئ على تحريرها وصحفيي المجلة، بل تلك الكتب العربية التي راح مؤلفوها يرتشفون من رحيق التجربة الغربية.

نلمح روح التجديد عند >> أحمد ضيف وأحمد زكي أبو شادي، على محمود طه وأحمد زكي، وأحمد حسن الزيات، محمد فريد أبو حديد فنجد دراسات "إميل فاجيه" لأحمد ضيف و"سانت

¹ صلاح السروي، المرجع السابق، ص51.

² عمر الدسوقي: نشأة النثر الحديث وتطوره، ص54.

³ نفس المرجع، ص249.

بيف " لحامد الصعيدي, ومكسيم غوركي " لمحمد علي ثروت و"وجيته" لإبراهيم حقي, و"جورج إليوت" لمحمد علي ثروت, وفي الشعر نماذج متعددة: "البلبل لشيبي, و"البحيرة" للأمارتين">>¹.

معطى الحرية في التجديد:

اتسمت فترة ما بعد النهضة بملامح التجديد على نطاق واسع، وقد تسارعت الأقلام لبثه عبر الدعوة إلى الحرية لتحقيق أكبر قدر من البراغماتية ها هو >> إبراهيم المصري يدعو إلى حرية إنسان بدون قيود قائلًا: إن الفنان هو الوحيد الذي يستطيع أن يكون حراً، وأن يحقق في شخصه مثل الحرية الأعلى">>². وجاراه في ذلك عباس محمود العقاد وسلامة موسى وغيرهم.

لقد تجسد التجديد بصفة عميقة فيمن كان يكتب القصص؛ حيث اتخذوا من القصص الفرنسية نموذجاً للحرية وخاصة التعبيرية، لأن التجديد ها هنا يمس أشد الفنون كتابة بالفرنسية وأكثرها شيوعاً وانتشاراً فتحروا نقلها من أمثلة ذلك: "سافو" لألفونس دودية و"الآنسة سوزان" و"السوس الأحمر" لأناتول فرانس.

كان من الطبيعي أن يشتد تأثير العرب بالغربيين ثقافة، ونهضة، وكتابة. وأهم ذلك الحركة التجديدية التي مست الأدب على وجه الخصوص، فالتجديدية >> فعلت فعلها المؤثر الذي يطبع الفكر بطابعة، ويسمه بميسمه، ويرمي بثقله الكبير عليه">>³. وبعد ما قيل تتأكد مكان القوة في التنمية والتطوير والتجديد.

¹ ينظر، عمر الدسوقي، المرجع السابق، ص252.

² المرجع نفسه، ص253.

³ محمد كريم الكوازي، البلاغة والنقد، ص5.

رواد التجديد:

ترجم حركة التجديد العربية كل من "خليل مطران" و"عبد الرحمان شكري"، أما عن "خليل مطران" فقد عُدَّ >> أعظم شعراء العربية في النصف الأول من القرن العشرين: شاعر القطرين، نكتشف شعرا بالغ القوة، والذكاء، والرقّة، وجزالة اللفظ، ناهيك باحتفائه بالصور الشعرية لم يتمكن من مضاهاتها إلا القليل، كان مطران في زمنه واحدا من أكبر المجددين فيها¹.

تمكن رائد التجديد "مطران" من هذه الحركة نظرا لموسوعية فكره واتقاد فريخته فهو من درس الاقتصاد وألّف فيه، وتقلد وظائف رسمية، وأبدع في الاشتغال المسرحي ترجمة، وربما تأليفا، وإدارة. كان شاعرا بالغ الحساسية والحداثة، عرف كيف ينهل من كلاسيكية اللغة العربية، وكان فرنسي الهوى ثقافيا، وقد ترجم فكتور هوغو وكورناي: وشغف بالأدب الإنجليزي، وتبدت في أشعاره ملامح الرومانسية الحقيقية، لم تخل أفكاره من واقعية اجتماعية، ناهيك عن ضلوعه في كتابة القصيدة.

كان "مطران" يلقب بشاعر القطرين جراء انتمائه العربي المزدوج، مولده في لبنان، وحياته في مصر، هذه الميزة جعلت الرائد يعمل جاهدا لنهضة العرب وتحديد أدبهم، اشتهر "مطران" بثقافته الرفيعة واطلاعه الواسع على أحدث الآداب والأشعار الأوربية، فكان مرجعا للأدب التجديدي².

عرف "مطران" كيف يُخرج القصيدة العربية من سكونيتها واعتمادها وحدة البيت، ليجعل منها قصيدة حيث تتجلى وحدتها من خلال موضوعها، وتعبق بلغة طرية معاصرة يمكن فهمها دون عناء، والواقع أن ما ساعد "خليل مطران" على سلوكه درب التجديد كان توغله وانفتاحه على الثقافة الفرنسية، شعرا ومسرحا، وهي ثقافة نهل منها وترجم روائعها، كما انفتح على الأدب الإنجليزي وتحديد المسرح.

¹ إبراهيم العريس: ديوان "الخليل" لخليل مطران نقطة انعطاف في الشعر العربي، قناة العربية الرابط الإلكتروني <https://www.alarabiya>

² محمد خضر: مظاهر التجديد في الشعر العربي <http://.mawda3.com>

تحقق مشروع التجديد في الأدب العربي والنقد والفكر معا ليس بـ "خليل مطران" فحسب، بل يعود الفضل كذلك لتلك النخبة العربية التي آمنت بجذوى الاحتكام للغة الواقع والكشف عنه، فالقصيدة الجاهلية بقوة أساليبها، وجزالة ألفاظها لم تكن لتخدم العصر الحديث.

هب الشعراء والأدباء في العصر الحديث لمواكبة التجديد فنظموا على منوال الواقع، واتخذوا من قاموس الحياة ألفاظ لهم، تتكلم بلسانهم، وتصف مشاعرهم.

إن ظهورا "التجديد" في منتصف القرن التاسع عشر للميلاد، كان بمثابة صرخة ردها شعراء عرب كثر نظيرا وممارسة ونذكر من بينهم: "أحمد شوقي"، و"أبو القاسم الشابي"، و"نازك الملائكة"، و"نزار القباني"، و"حمود درويش" ... وغيرهم ممن أسهموا في التجديد الشعري.

وما يمكن أن نختتم به، أن "التجديد" في أبسط ملامحه قد ساير تجديد اللغة فجعلها توحى بحياة الفرد، أما الصورة الفنية فقر بها لعين القارئ وأخيرا استحدثت موسيقى الحالة الشعورية للمبدع.

المحاضرة الخامسة: جماعة الديوان

تمهيد:

تحرر الشعر من وحدة القافية والروي، وراح يصارع من أجل تحقيق حداثة ما، تنزل كيانه العمودي، وتصف شعوره، وتمنحه جانبا من الليونة والجمال. غيبت القصيدة العربية الحديثة البذور الخليلية بل راحت تجمع بين الأبيات بموسيقى الأصوات، تحرأصاب الأدب وكان له تأثيره على النقد >>فسار النقد بنهج وفق ما حل بالأدب العربي<<¹ استمد التحرر الأدبي شرعيته من معطى الحداثة والتي عمل على تأسيسها، أولئك العظام، تتقدم تلك المدارس أو التيارات مدرسة الديوان، أو جماعة الديوان وهو الاسم الشائع للحركة.

1-الديوان المفهوم والنشأة:

أطلقت على الاتجاه الأدبي النقدي الذي التزم به كل من "عباس محمود العقاد" و"عبد الرحمن شكري" و"إبراهيم عبد القادر المازني"، و عديد الأسماء >>في أوائل هذا القرن سمي باسم "الحركة التجديدية" أو "حركة تجديد الأدب" أو "مدرسة التجديد" أو "الدعوة التجديدية في الأدب العربي"، المدرسة المصرية الجديدة في الأدب. أو "دعاة الجديد" أو "أنصار الجديد". "مدرسة الديوان" أو جماعة الديوان<<². تُشكل جماعة الديوان إضافة جديدة في الأدب العربي والنقد. ويرجع سبب تسمية المدرسة "بالديوان" >>وذلك نسبة إلى الكتاب النقدي المشهور الذي ألفه اثنان من هذه المدرسة وهما عباس محمود العقاد وإبراهيم المازني وأصدراه في جزئين وبسطا فيه دعوتهما الجديدة، ونقدا فيه حافظا وشوقي والمنفلوطي، كما نقدا زميلهما الثالث وهو عبد الرحمن الشكري<<³. واتهما بالسرقة.

¹ أبو القاسم محمد كرو: دراسات في الأدب والنقد، دار المعارف. تونس، د، ط، 1990. ص100.

² سعد محمد جعفر: التجديد في الشعر والنقد عند جماعة الديوان، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم الدكتوراه، 1973، ص51.

³ محمد عبد المنعم خفاجي: حركات التجديد في الشعر الحديث، دار الوفاء. الإسكندرية، ط1، 2002، ص53-54.

تأثرت البيئة الثقافية في مصر بالترجمة والبعثات العلمية وبالاحتكاك مع الغرب، فأجذب هذا التأثير كتاب "الديوان في الأدب والنقد" >> عام 1921م، رغم عدم ذكر عبد الرحمن شكري في تأليف الكتاب إلا أننا نلمح بعض أفكاره وآرائه >>¹. نظرا للقواسم المشتركة بينهم.

لقد أحدث كتاب الديوان ضجة أدبية ونقدية في مصر خاصة والعالم العربي عامة، يعتبر كتاب "الديوان في الأدب والنقد" إعلان للبوادر الأولى للحدثة والتجديد، فهو قفزة نوعية، ودعوات شملت كافة مجالات الحياة والتي بدأت في النص الأول من القرن العشرين. وقد ورد على جزئين وهو مخالف بما صرح به العقاد >> فنحن لهذا الكتاب في أجزاءه العشرة نتم عملا مبدوءا >>² وهو توقف أثارته الخصومة بين الرواد.

2- أهمية كتاب الديوان:

لا يزال تأثير جماعة الديوان تأثيرا أدبيا ونقديا إلى اليوم، فالكتاب أساس دعوة تحررية نالت من الأدب والنقد على حد سواء و"الديوان" المنبع الذي انطلق منه الشعر العربي نحو التجديد، وهو ما صرح به عباس محمود العقاد في "الديوان"، تتجسد: أهمية الكتاب في الضجة التجديدية والنقدية التي آثارها، فعد بذلك: >> كتاب الديوان بداية النقد الأدبي الحديث في مصر، معتمدين على أنه يمثل قفزة نوعية لتراكم ممتد من دعوات التجديد ورفض التقليد، وهي دعوات شملت كافة مجالات الحياة >>³. >> فالديوان يعتبر ذا الأثر الفعال في التفات الناس إلى ذلك المذهب الجديد >>⁴.

حققت الصدفه دورا كبيرا في اجتماع جماعة الديوان وكتابتهم الأثر، وإن غيب العنوان شكري فإننا نلاحظه جليا بآرائه وأفكاره التجديدية. إن تعارف "العقاد" و"المازني" كان تعارفا جميلا خلقا. توطدت العلاقة بينهما بحيث لا يترك أحدهما الآخر إلا للنوم. وقد تعرف العقاد على عبد الرحمن شكري عن "طريق المازني، حيث وقع اختيار شكري للسفر إلى إنجلترا لتفوقه في بعثة إلى جامعة

¹ سعاد محمد جعفر: التجديد في الشعر والنقد عند جماعة الديوان. ص52.

² عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني: الديوان في الأدب والنقد، دار الشعب للطباعة، القاهرة 1921. ما ورد في مقدمة الكتاب.

³ ينظر: سيد البحراوي: البحث عن المنهج في النقد العربي الحديث، دار الشقيقات، القاهرة. ط1، 1992، ص17-18.

⁴ سعاد محمد جعفر: التجديد في الشعر والنقد عند جماعة الديوان، ص52.

شيفلد ومكث هناك ثلاث سنوات كان لا يحدثه في رسائله إلا عن العقاد. وأثناء عودة شكري من البعثة التقى العقاد، وتوطدت علاقتهم منذ ذلك اللقاء عام 1912م.

افتتحت هذه العلاقة بالمدح الذي خصه كل من "المازني" و"العقاد" لشكري، وما لبثت حتى تحولت إلى هجاء بالمعنى الحديث، حيث اتهماه بالسرقة فأعلننا عليه حملة تهجمية سمي من خلالها شكري "صنم الألاعيب". واتهماه بالجنون وحاولوا تحطيمه مع بقية الأصنام. ونتج حول هذا التحول غير المبرر العديد من القصائد الشعرية، ارتأينا الوقوف عند نموذج واحد، للإشارة إلى تحول العلاقة من حب وأخوة إلى كره وعداوة يكنها الزميلان لشكري.

*مرحلة الحب والأخوة: يقول المازني:

أما فتى صادق الهوى كأخي ** شكري يرد الزمان عن نوبه
أوثق من تصطفي وأكرم من ** تأخذ من عقله ومن أدبه
ويقول "عباس محمود العقاد" >> في مقدمة ديوانه: يمتدح فيها شعر شكري قائلاً: أنه ينسبط
انبساط البحر في عمق وسعة وسكون... فإذا تلقى قراء العربية اليوم هذا الجزء الثاني من ديوان
شكري فإنما يتلقون صفحات جمعت من الشعر أفانين، قد سمح بما قلب سخي، وقريحة خصبة،
ويقول أيضاً: أما شكري فشاعر لا يصعد طرفه إلى أرفع من آمال النفسية البشرية وذلك دأبه ووكده،
وهو لا يباليغ: تحرير شعر <<¹. لقد احتفيا كل من "المازني" و"العقاد" بشعر "شكري" أيما احتفاء
فاعتبراه من المبشرين بالمذهب الجديد، لكن سرعان ما دب الخلاف بينهم، وكشف الشقاق عن
نيلهم من "شكري" لتأتي المرحلة الثانية.

*مرحلة الكره والعداوة:

بدأت هذه المرحلة عندما عكف "عبد الرحمن شكري" على كشف سرقات "المازني" من الأدب
الإنجليزي فكتب في مقدمة ديوانه الخامس الذي طبع سنة 1916 يقول: وقد لفتني أديب إلى
قصيدة المازني التي عنوانها "الشاعر المحتضر"؛ البائية التي نشرت في عكاظ واتضح لنا أنها مأخوذة من

¹ سعاد محمد جعفر، المرجع السابق، ص56.

قصيدة "أدوني" للشاعر شيللي الإنجليزي.. يواصل شكري كشف كل السرقات للمازني عن طريق الاستشهاد بالعناوين وترجمة الأبيات الشعرية لأنه كان حاذقا في الأدب الإنجليزي، وأكثر اطلاعا على الآداب الأوروبية، وينهي شكري حديثه بأن صداقته بالمازني لامتعه من نقده فيقول: وصداقتي له لا تمتع ما أظهرت، وبمعاتبته في عمله، لأن الشاعر مأخوذ إلى الأبد بكل ما صنع في ماضيه حتى يداوي ما فعل، ويرد كل شيء إلى أصله وليس الاطلاع قاصرا على رجل حتى يأمل المرء عدم ظهور هذه الأشياء. ولسنا في قرية من قرى النيل حتى تخفى¹.

لقد اتهم "شكري" زميله بالسرقات وقال بأنه لم يكن مخلصا في شعره، لم يكتف "بالمازني" فأضاف إليه "العقاد"، وأخذ ينقد شعرهما في سلسلة من المقالات، وبلغت هذه الانتقادات حد التجريح وانتهت هذه الخصومة بالفرقة الأليمة. وما يحسن الوقوف عنده ترسيمة تختصر زمنية العلاقة إلى تأسيس الجماعة وكتابة "الديوان في الأدب والنقد" ندرجها على النحو الآتي:

جماعة الديوان:

← التعارف في مدرسة المعلمين 1906 (المازني وشكري).

← التقاء المازني بالعقاد 1911.

← التقاء العقاد بشكري 1912.

← الخصومة 1916.

← إصدار "الديوان" 1921.

رغم انقطاع تلك العلاقات الطيبة التي أنجبت جماعة الديوان يبقى أثرهم قائما إلى اليوم، فهم من قادوا حركة تجديدية شعرية نقدية؛ فأزاحوا عن الأدب تلك الثياب البالية. وفي مقدمتهم "شكري" الرائد لأنه >> سبق أعضائها إلى وضع الأسس النظرية والتطبيقية في الشعر والنقد ودعم هذه

¹ ينظر: سعاد محمد جعفر: التجديد في الشعر والنقد من جماعة الديوان، ص 57.

الأسس بالإنتاج الوفير التي استغرقتها الديوان في كتابة المقالات وقد تأثر زميلاه بفكره نتيجة لصحبته وتبادلهم الأفكار والأحاديث¹.

3-مقاصد التجديد في الديوان في الأدب والنقد:

تستقي جماعة الديوان مقاصدها من السمات المشتركة التجديدية للجماعة أولاً، ومن ما حددته الجماعة في كتاب "الديوان في الأدب والنقد" ثانياً. يقول "العقاد" و"المازني" عن مقاصد الديوان: >> بسم الله نبتدئ، وبعد: فإن كان للسكوت عن الخوض في أحاديث الأدب داع، فقد زال ذلك الداعي اليوم وقد تجددت دواعي للكتابة في أصوله وفنونه، أحصها الأمل في تقدمه... وكتابنا هذا مقصود به مجارة ذلك الأمل وتوخي تلك العلة. وهو كتاب يتم في عشرة أجزاء، موضوعه الأدب عامة، ووجهته الإبانة عن المذهب الجديد في الشعر والنقد والكتابة، وقد سمع الناس كثيراً عن هذا المذهب الجديد في الشعر والنقد والكتابة، وقد سمع الناس كثيراً عن السنوات الأخيرة، ورأوا بعض آثاره، وتهيأت الأذهان الفنية المهذبة لفهمه والتسليم بالعيوب التي تؤخذ على شعراء الجيل الماضي وكتابه ومن سبقهم من المقلدين<<²

تبرز مقصدية الجماعة التجديدية بداية بضرورة الانفتاح على الآخر. وتحقيق ذلك التلاقح الفكري الجديد الذي ينه بحركة تجديدية تطمح لرفع الأدب العربي والنقد عالياً، رفعا يساير التيارات الغربية شكلاً ومضموناً. >> فأدب الأمم الأخرى أكسبته جدة في معانيه وفتحت له أبواب التوليد<<³. ولقد أوجز العقاد المقاصد الأدبية والنقدية للديوان في قوله: >>وأوجز ما نصف به عملنا - إن أفلحنا- أنه إقامة حد بين عهدين لم يبق ما يسوغ اتصالها والاختلاط بينهما، وأقرب ما تميز به مذهبنا أنه مذهب إنساني مصري عربي، إنساني: لأنه من ناحية يترجم عن طبع الإنسان خالصاً من تقليد الصناعة المشوهة؛ ولأنه من ناحية أخرى ثمرة لقاء القرائح الإنسانية عامة، ومظهر

¹ ينظر: المرجع السابق، ص84.

² عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني: الديوان في الأدب والنقد، مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، ط4، 1997. في مقدمة الكتاب.

³ سعد محمد جعفر: التجديد في الشعر والنقد عند جماعة الديوان، ص90.

- الوجدان المشترك بين النفوس قاطبة، ومصري لأن دعواته مصريون تؤثر فيهم الحياة المصرية، وعربي؛ لأن لغته العربية، فهو بهذه المثابة أتم نهضة أدبية ظهرت في لغة العرب منذ وجدت، إذ لم يكن أدبنا الموروث في أهم مظاهره إلا عربيا بحتا يدير بصره إلى عصر الجاهلية¹،¹ تتحدد مقاصد "الديوان" مع السمات المشتركة لرواد هذه المدرسة والتي يمكن أن نجملها في النقاط الآتية:
- استثمار تجاربهم الإبداعية التجديدية ومعرفتهم بالأدب الإنجليزي.
 - التأثر بمبادئ الرومانسية وخاصة بمدرسة كولوريدج ووردز وورث.
 - الثورة على جمود الشعر والحياة العربية.
 - الرغبة في تجديد هيكل القصيدة وجعلها تعج بالحركة النفسية.
 - نبذ التقاليد الموروثة في الأدب وفي الحياة.
 - دراسة الآداب واللغات الأوروبية الحديثة وعلى رأسها الإنجليزية.
 - المقومات الفطرية: اشترك جماعة "الديوان" بامتيازهم بالذكاء النادر، وقوة الملاحظة وسعة الاطلاع.
 - اتقاد ملكة النقد عندهم وقدرتهم على التمييز بين ألوان الكلام.
 - غزارة آرائهم النقدية المثقلة بتجارب الكتابة والنقد.
 - التمكن الشديد من اللغة العربية واللغة الإنجليزية وحتى الفرنسية.
 - القدرة الثابتة على الترجمة من العربية إلى لغات أخرى والعكس صحيح.
 - الحساسية المفرطة لرواد "الديوان"، حساسية تبلغ درجة الهذيان والجنون نظرا لما تعرضوا له من بؤس وفقير وعدم تقدير آمالهم وأحلامهم كانت حياة المازني مأساة حقيقية.
 - استفتاح الرواد تعليمهم بالكتاب ودراسة القرآن الكريم، وهو ما أمدهم بإتقان اللغة العربية واستثمار الأخيرة اللغوية والأدبية. تلقوا تعلماتهم في الإعراب والنحو والنثر والشعر على يد فحول مصر.
 - كانوا من خريجي الأزهر الشريف، زاد احترامهم للغة العربية والرغبة في تطويرها.

¹ عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني: الديوان في الادب والنقد. ما ورد في مقدمة الكتاب.

- مارس الرواد مهنة التدريس وكتابة المقالات الفريدة.
- الاسهام في حركة التجديد التي غمرت الأدب العربي في بداية القرن العشرين.
- المقاييس النقدية التي يُقَوِّمُ من خلالها النص الإبداعي.
- محاولة إعادة الحياة للأدب العربي في مقولة "ما يجب أن يكون عليه الأدب".
- الدعوة للتعبير عن ذات وعن الآخر.
- التجديد في المعاني والأغراض المناسبة للحياة المادية والمعنوية.
- التحرر من قيود القافية ووحدة الروي والدعوة للتنوع فيهما.

وما يحسن تأكيده بعد رصد هذه القواسم المشتركة التي ساهمت في تثبيتها عرى الإسلام والوطن ولغة الضاد، أن تفكير جماعة الديوان في إنشاء حركة تجديدية لم يكن ليتحقق لولا نظرة الإكبار والتقدير للتراث العربي القديم، والتجديد يعكس إعجابهم بالثقافة الغربية وملامح التجديد الغربي لا غير. >> لقد كان لهم آثار لا تنكر في حرصهم الشديد على إيجاد سند من الأدب العربي القديم ينطلقون منه في تجديدهم في القافية المرسلة التي نظم فيها شكري مثلاً نجد العقاد بذكر أبياتا من الشعر الجاهلي مرسلة القافية ليدعم هذا الاتجاه¹.

وما نختتم به، أن كل مدرسة أو حركة رغم مثولها ردحا زمنيا، لزاما عليها أن تحمل بذور مدرسة أخرى تنهض على مبادئها، وتواصل مسيرتها التجديدية، حملت مدرسة الديوان بذور فنائها منذ الخصومة التي لم يتوان الطرفان في التستر عنها، وجعلها تقوم على كل الألسنة. سلبيات عجلت بضرورة التأسيس لمدرسة أخرى وهو ما كان قد تحقق فعلا.

¹ سعاد محمد جعفر: التجديد في الشعر والنقد عند جماعة الديوان، ص92.

المحاضرة السادسة: جماعة أبوللو

تمهيد:

إن القدرة على التعامل >> مع الفكر الأوروبي أو غيره بعمق لا يملكها إلا العقل الناقد، أي العقل المكون تكويناً فلسفياً عميقاً >>¹. فينهل من الآخر ليؤسس كل ما هو جديد، إذا كان "احسان عبد القدوس" قد التقط أبطاله من فضاءات أسطورية تعج بالأرواح على حد تعبير عبد "العظيم أنيس"، فقد تفرد "أحمد زكي أبو شادي" بانتقاء تسمية أسطورية لمدرسته التجديدية التي جاءت نتيجة لما بعد جماعة الديوان.

1- جماعة أبوللو المفهوم والنشأة:

حركة أدبية نقدية تجديدية يرجع تأسيسها للرائد العظيم أحمد زكي أبو شادي تلميذ خليل "مطران" بامتياز، يقول "أحمد زكي أبو شادي" عن هذه الحركة: >> لم نتوان في تأسيس هيئة مستقلة لخدمة العالم العربي هي جمعية أبوللو، وذلك حبا في احلال مكانته السابقة الرفيعة، وتحقيقا للتآخي والتعاون المنشود بين الشعراء هذا عهدنا للشعر والشعراء، وكما كانت الميثولوجيا الإغريقية تتغنى بألوهة أبوللو رب الشمس والشعر والموسيقى والنبوة، فنحن نتغنى في حمى هذه الذكريات - أصبحت عالمية- بكل ما يسموا بجمال الشعر العربي وبنفوس شعرائه >>². يتساءل الباحث منا عن سبب تسمية هذه الجماعة بأبوللو؟ وما مرجعية المؤسس في ذلك؟

إذا كانت الحضارة الإغريقية اليونانية تستقي أهميتها من خلال ما حيك حولها من أساطير توكل لها مهمة الخوارق. أبطالها آلهة وأنصاف آلهة جابه الإنسان البدائي على إثرها الطبيعة وفي صراعه الأبدي قدم التفاسير الميثولوجية، التي تلقاها العرب عن طريق الاحتكاك ليستلهموا منها مختلف الأسماء إما تأثراً بالعرب أو تبرّكاً بها للوصول للعالمية. لم يكتف "أحمد زكي أبو شادي" بجعل جمعيته تنضوي تحت اسم الإله أبوللو في مصر، بل راح يكسب جمعيته الأخرى اسم إله آخر >> فقد ألف في

¹ سيد البحراوي: البحث عن المنهج في النقد الأدبي العربي الحديث، ص 113.

² محمد مندور: الشعر المصري بعد شوقي، الحلقة الثانية، مكتبة نضرة مصر ومطبعتها، الفجالة، القاهرة، ط 1. 1954، ص 126.

أمريكا بعد هجرته إليها جمعية مماثلة سماها جمعية منيرفا، ومنيرفا هذه هي إلهة الحكمة عند اليونان القدماء¹. ويرجع سبب اهتمام مؤسس جمعية أبوللو بهذه المسميات الميثولوجية للآلهة، رغبة في الخروج عن المألوف، والسمو بالنقد نحو العالمية.

جاءت "جماعة أبوللو" على أثر "الديوان" فكان لزاما على مؤسسها أن يخالف من سبقه، لتنال الشهرة التي اكتسبتها من التسمية في حد ذاتها. اسما عالميا يكشف عن قدراتها الإبداعية الخلاقة الجديدة لقد >> كان شعراء أبوللو - تيار من التيارات العربية المعاصرة - يحملون مضامين جديدة تختلف نسبيا عن المضامين التي يحملها الشعراء السابقون عليهم، ولقد تبدى موقفهم من خلال المعالجة السابقة لطبيعة تعاملهم مع الشكل التقليدي².

تعتبر "جماعة أبوللو" >> حركة شعرية وأدبية واسعة، لا نظن أن مصر قد شهدت مثلها حتى الآن، وهي الحركة التي ابتدأها أحمد زكي أبو شادي في سبتمبر 1932 بمصر، بتكوين جمعية أبوللو وإصدار مجلة أبوللو الفريدة في تاريخ الأدب العربي المعاصر، إذ تخصصت في الشعر ونقده وأصبحت مجالا فسيحا لكافة النفوس الشاعرة الفنية، والتي وجدت في أحمد زكي أبو شادي نبيا من أنبياء الشعر وشهيدا من شهدائها، شجع الجميع وأعطاهم الفرصة للظهور في ضوء الحياة، وساعد على نشر دواوينهم وتقديمتها للجمهور³.

-التعريف بالمؤسس:

أحمد زكي أبو شادي الأستاذ الرائد الخصب، طالب "خليل مطران"، ولد بمصر سنة 1892م، عاش حياته مهاجرا بين أمريكا ومصر، بعد أن تنكرت له الحياة في مصر وهو من بين >> أهم من صنعوا ثقافتنا الحديثة⁴، لقد تتلمذ أحمد زكي أبو شادي على يد أستاذه "خليل مطران" منذ طفولته عندما كان يلقي الشاعر العظيم في صالون أبيه المحامي الكبير والزعيم الوطني

¹ المرجع السابق، ص126.

² سيد البحراوي: موسيقى الشعر عند شعراء أبوللو، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ص57.

³ ينظر: جماعة أبوللو، الحلقة الثانية. محمد مندور، ص123.

⁴ سيد البحراوي: صناعات الثقافة الحديثة في مصر مبدعون ونقاد، دار الجزيرة، القاهرة، ط1، 2002، ما ورد في مقدمة الكتاب.

محمد بك أبو شادي، وإذا كان أحمد زكي قد انقطع من ملاقاته أستاذه أثناء العشر سنوات التي قضاها في إنجلترا في دراسة الطب (1912-1922) كمهنة، والأدب كهواية. فإن العلاقة بين التلميذ وأستاذه عادت قوية بعد عودته من أمريكا. علاقة بجلها واعترف بها أبو شادي في ديوانه "أنداء الفجر" تحت عنوان: "مطران وأثره في شعري".¹

أحمد زكي أبو شادي هو التلميذ العظيم الذي >> لم يدع إلى مذهب شعري بعينه، لأنه كان دائرة معارف شعرية تتسع لكافة المذاهب والفنون والاتجاهات الحديثة <<². أفكار تجديدية لسعة اطلاع ورثها لشعراء أبوللو >> فالمنطلق الأساسي الذي ينطلق منه أبو شادي في نظريته الجديدة للشعر هو الحرية، فالحرية جزء أصيل من الفن بل أساس عظيم له، ومن هذا المنطلق ينادي بإطلاق حرية الشاعر <<³ حرية ارتأى تحقيقها في معظم دواوينه وآثاره التي نذكر منها: ديوانه "الشفق الباكي 1926" "أشعة وظلال 1928" "أغاني أبي شادي".⁴ ترك الرائد العظيم إنتاجا ضخما فهو من >> كتب أوبرات ومسرحيات شعرية كما كتب الأغاني والقصائد بل والقصص الشعرية <<⁵. وكونه طبيبا متخصصا في البكتريولوجيا له كتاب طبي "الطبيب والمعمل" في 911 صفحة.

بعد رحلة علمية إلى أمريكا عاد عام 1922 إلى مصر، وقد هيا ظروف إنشاء "جماعة أبوللو" التي تحققت عام 1932، حيث أعلن رسمياً عن ميلادها وأسسها. بعد الاهتمام لهذه الحركة التجديدية، قوبل الرائد بالرفض وخاصة من طرف مدرسة الإحياء والبعث، فضاقت أبو شادي بهذا

¹ ينظر، محمد مندور: الشعر المصري بعد شوقي، ص 123.

² نفس المرجع، نفس الصفحة.

³ سيد بحرأوي، موسيقى الشعر عند شعراء أبوللو، ص 29.

⁴ نفس المرجع، ص 171.

⁵ محمد مندور: الشعر المصري بعد شوقي، ص 128.

النقد اللاذع الذي وُجه إليه فهاجر إلى نيويورك سنة 1946. بقي هناك يعمل بين الصحافة والتجارة والإذاعة والتدريس حتى توفي فجأة في واشنطن 12 أبريل 1955 م عن عمر ناهز 63 سنة¹.

أسس أحمد زكي أبو شادي إحدى أهم المدارس الأدبية في الأدب العربي، وقد ضمت الجماعة شعراء الوجدان في مصر والوطن العربي ومن روادها: "إبراهيم ناجي" و"علي محمود طه"، و"أبي القاسم الشابي"، وغيرهم. >> كانت عضوية الجمعية مفتوحة للشعراء وخاصة والأدباء ومحبي الأدب عامة في جميع الأقطار العربية، أختير لرئاستها الشاعر "أحمد شوقي" الذي ترأس جلستها الأولى في دار كرمة ابن هاني: يوم الإثنين 10 أكتوبر 1932م، وأقنع أبو شادي بأن يكون سكرتيرها وكما توفي شوقي في 14 أكتوبر من العام نفسه، اجتمع أعضاء الجمعية يوم السبت 22 أكتوبر 1932 بمقر رابطة الأدب الجديد بالقاهرة، واختاروا الشاعر "خليل مطران" رئيساً لها.²

- مجلة أبوللو:

تبوأ مجلة أبوللو المكانة الرفيعة، والعالمية التي ناشدها المؤسس، صدر أول عدد لها في سبتمبر 1932 في القاهرة، واستمرت في الصدور حتى 1935. وكان أحمد زكي أبو شادي من يت رأس تحريرها.

صُدرت المجلة في عددها الأول بكلمة افتتاحية قصدها المؤسس في قوله: لا يختلف اثنان في أن الشعر العربي تسامى والخط في آن: تسامى بتأثره بنفحات الحضارة الراهنة ونزعاتها الإنسانية وروحها الفنية، وانحط بما أصاب معظم رجاله من الخصاصة، فقد لقي الشعر معهم تبعاً لعجزهم المادي وتبرمهم بالحياة، وعزوفهم عن الانتاج الفني الذي يطالبهم بالجهد والتدبر. اهتمت المجلة بالشعر نظراً للمنزلة

¹ ينظر: مصطفى شريف العاني: الأطباء الأدباء، مجلة المورد، م6، ع4، 1977، ص8-29.

² محمد مندور: الشعر المصري بعد شوقي، ص124.

الخاصة التي يحتلها بين فنون الأدب، وفي تدهوره إساءة للروح القومية! لم يتردد أحمد زكي أبو شادي في أن يخص الشعر دون الفنون الأخرى في مجلة هي الأولى من نوعها في العالم العربي.¹

وانتخبت المجلة اسما عالميا يلائم صنعتها، مجلة تفسح الأبواب واسعة للأدب والنقد والشعر. كانت محطة لنشر الشعراء من مختلف الأقطار؛ عبد الله عبد الرحمن ومحمد أحمد المحجوب، وتوفيق أحمد البكري، ومن شعراء تونس: أبو القاسم الشابي ومحمد الحليوي، ومن العراق محمد مهدي الجواهري وحسين الظريفي، ومن شعراء المهجر إيليا أبو ماضي وشفيق المعلوف ورياض المعلوف.

سمات التجديد عند المؤسس:

جاءت "أبوللو" نتيجة لما بعد جماعة الديوان، نازعت سابقتها في مد النصوص جانبا ثريا من الجدة والحياة. سمات طبعها أحمد زكي أبو شادي والتي يمكن أن نجملها فيما يلي:

*الانفتاح على الآداب الأوروبية، واستلها ما فيها من تجديد.

*الرغبة في السمو بالشعر العربي وتوجيه جهود الشعراء توجيهها شريفا.

*الثورة على التقليد التام للنموذج الجاهلي شكلا ومضمونا.

يقول في قصيدته المومياء (صفحة 72 من ديوان أطيايف الربيع):

أسير	وكم	أرى	في	الناس	حولي	**	أسيرا	حالب	كالمومياء
كأن	السحر	جدده	ولكن	**	يلوح	به	التعمق	في	الفناء
فأبصر	فيه	صورة	آدمي	**	ومن	ألقى	به	معنى	الرجاء
ولكن	الفناء	يظل	منهم	**	وأهل	الأمس	من	أهل	البقاء

¹ محمد مندور، المرجع السابق، ص 125.

ويقول أيضا:

لم يبق إلا أن يكفن بعضنا ** بضعا وأن تتسابق الأموات
-أحمد زكي أبو شادي >> رائد التجديد ويظهر أثره في الشعر العربي الحديث والمعاصر<<¹.
بموسيقى الشعر الرومنسي الذي تأثر فيه الرائد أبو شادي بمذهب الرومانسية لوردزورث وكولوريدج
-جعل الإيقاع الشعري يخلق مسافة جمالية، توحى بتأثره بمنهج "الفن للفن". >> يبقى التميز
الحقيقي لأبوللو تميزا يتجه إلى اختيار إيقاعي جديدا بدلاً من الإيقاع التقليدي<<². ناهيك عن
التنوع في إيقاعات الأوزان:

-الاهتمام باللغة التجسيدية التصويرية. أو ما يعرف بالأنسنة.

-التحرر من القافية، وقد كان موقفه أعنف إزاء القافية.

-خلق الانفعال في القصائد الشعرية وهو ما نجده في قصيدته "موكب الجمال".

-ادخال نظام "السوناتا الشكسبيرية" من حيث القافية، وهنا النظم على بحر مترجم.

*ظروف نشأة جماعة أبوللو: لقد هيأت مجموعة من العوامل لإنشاء جماعة أبوللو فخلقت قواسمها
مشتركة بين الأعضاء ندرجها على النحو الآتي:

← انفرط عقد جماعة الديوان بعد الخلاف الذي نشب بين "شكري" و"المازني".

← تأثر شعراء جماعة أبوللو بمذهب "خليل مطران" الرومانسي.

← تأثرهم بشعراء المهجر وخاصة شعر "جبران خليل جبران".

¹ سيد بحراوي: موسيقى الشعر عند شعراء أبوللو، ص 6.

² سيد بحراوي، المرجع السابق، ص 43.

← اجماع جماعة أبوللو على التجديد من خلال ابداعهم المتمثل في ديوان "الينبوع" الذي صدر عام 1911.

2-الأهداف: لقد ناشدت جماعة أبوللو في انشاءها لهذه الحركة التجديدية العربية مجموعة من الأهداف، والتي رأت في تحققها فتحًا عظيمًا يخرج النص العربي من بوتقة التقليدية والكلالسيكية أهداف نطرحها فيما يلي:

1-التجديد وفقا لمذاهب عالمية "الرومانسية".

2-محاولة السمو بالشعر العربي والشعراء والنقاد، واسترداد كرامتهم.

إن هذه الأهداف وأخرى ساهمت بشكل متسارع في دفع وتيرة التقدم والتجديد، كما ساهمت في تأثرهم بالمدارس العالمية الأخرى في بيئة غير البيئة المصرية. وساعدتهم إلى حد كبير على الاستمرار وفقا لمنهج تجديدية خصبة. هذه الأهداف تجسدت في أعمال الجماعة "أبوللو"، تضاف لها خصائص ميزتها عن المدارس الأخرى.

3- خصائص جماعة أبوللو التجديدية: نعرضها على النحو الآتي:

← شيوخ موضوع الحنين والشوق للأوطان: وهي نتيجة طبيعية لتجربة مهجرية عايشها الشعراء وظهرت عنوة في شعرهم نتيجة لشعورهم بالغرابة خارج الديار.

← الاعتماد على التجارب الذاتية ومحاولة صوغها في قوالب لفظية من عيار ثقيل.

← استعمال لغة الإيجاء والرموز والاشارة التي تضيف نوعا من الغموض.

← استخدام الكلمات الأجنبية وخاصة الأسطورية منها "الآلهة" .. وغيرها.

← الميل إلى تجسيم الطبيعة، وتشخيصها في محاور انسانية يحاكيها الشاعر.

← حب الطبيعة والافتنان بها ومناظرها ومناجاتها حتى أنهم سمو دواوينهم وقصائدهم بما يدل

عليها: "أطياف الربيع - أشعة وظلال - الينبوع، الشفق الباقي".

- ← ظهور نزعة التشاؤم والاستسلام للأحزان والآلام واليأس؛ نذكر من بينهم "محمود حسن اسماعيل" ديوانه: أين المفر؟
- ← الاهتمام بموضوع المرأة والحب، كان "شعراء أبوللو" يتمثلون المرأة موضوعا للهروب من الواقع والغربة.
- ← الاهتمام بتعدد القوافي في القصيدة الواحدة ومحاولة تقسيمها الى مقاطع شعرية متأثرين بفن الموشحات الأندلسية >> نشأة الموشح، وارتبطت بأغراض خاصة بأهل الأندلس وشيوع مجموعة من معاني الغرام والحب والغناء ووصف الرياض والطبيعة وغيرها من المعاني التي قربت هذا الشكل من الرومانسيين العرب. بحيث أحبوه، ونظموا عليه كثيرا من أشعارهم... نظم شعراء أبوللو سبعين موشحا، وهي منشور في أعداد مجلة أبولو¹ وهو استخدام مبتكر لأول مرة.
- ← الاهتمام بظهور الموسيقى الهادئة والإكثار من مجزئات الأبحر الشعرية القصيرة.
- >> الإيقاع وحده هو السبيل الذي يستمد منه الشاعر معناه²
- ← الاهتمام في كتابتهم بالشعر المرسل الذي لا يتطلب قافية واحدة، ولا بحرا واحدا.
- ← التنوع في المضامين الشعرية، وجعلها تتكلم بلسان الواقع، ولغة العصر.
- ← جعل القصيدة الشعرية نفسية بامتياز، تصور أحلام صاحبها وآمال مجتمعه وآلامه.
- وما نختتم به هذه المحاضرة، أنه من الطبيعي أن تشهد جماعة "أبوللو" عديد المفازات خاصة كونها مثلت ثورة التجديد في هيكله القصيدة العربية، حيث عددوا شعراء "أبوللو" المواضيع ووزعوا المقاطع، ونوعوا القوافي ورددوا: مذهب "الفن للفن" ومذهب "الفن للحياة"، الذي راح يستعيد مضامينه الشعرية من الرومانسية والإرتقاء في أحضان الطبيعة وهو ما توحى به عناوين دواوينهم "ديوان الينبوع لأحمد زكي أبو شادي"، "ديوان ما وراء الغمام لإبراهيم ناجي" و"ديوان الملاح التائه لعلي محمود طه"، رغم ما قدمته من تجديد غير أنها لم تنف التراث والقصيدة النموذج في توجهاتها وهو ما

¹ سيد بحراوي: موسيقى الشعر عند شعراء أبوللو، ص 82.

² مصطفى عبد اللطيف سحرتي: الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث، مطبعة المقتطف والمقطم، بمصر، 1948، ص 109.

صرح به "الدكتور عبد القادر القط" في كتابه: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر: >> لم ينبذ هؤلاء الشعراء إطار القصيدة القديم، بل لعلهم كانوا أكثر ميلا إليه، فقد كان إيقاع القصيدة العربية القديمة مازال عميقا في نفوسهم، وكان رصيدهم من التراث مازال ذخيرتهم الأولى، ووسيلتهم إلى الإبداع، فحاولوا أن يوفقوا بين خصائص ذلك الرصيد ومقتضيات العصر، ومفهوم الشعر الحديث وطبيعة التجربة الوجدانية، وقد وجدوا في بعض ألوان من الشعر القديم ذات "الطابع الوجداني" ما أعانهم على هذا التوفيق، فظلت القصيدة من حيث إطارها الشكلي ذات مظهر قديم، لكنها اكتسبت سمات جديدة واضحة في طبيعة موسيقاها ومعجمها وصورها¹.

كان من الطبيعي أن تنال "جماعة أبوللو" اهتمام الأتباع والرواد، إلا أنها هي الأخرى حملت بذور نهايتها، لتأتي على أنقاضها مدرسة تجديدية أخرى، نهلّت من المد الثقافي الأوروبي وحاولت العمل بأسسه.

¹ عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1978، ص 368 وما بعدها.

المحاضرة السابعة: الرابطة القلمية

تمهيد:

عاني الأدب العربي والنقد مخاضا عسيرا في تشكلاتهما عبر الأزمنة؛ فمن الأدباء من راح يصور الواقع الذي أرهق كاهله بمسحة من اليأس والتشاؤم، ومنهم من هاجر الواقع الأليم وراح يجوب أقطارا غريبة لعله يجد العزاء والسلوى، حركة مهجرية علم أصحابها بجدواها، فتحققت لتساير التجديد والواقع البديل شكلا ومضمونا؛ حركات مهجرية شرعيتها مستمدة من معطى الوطن. فراحت تُكون جماعات في ديار غير الديار، وبلغة رمزية غير لغتهم الأم. ما طبيعة هذه الحركات؟ وما ظروف نشأتها؟ وبم تميزت عن سابقتها في العالم العربي؟.

1- الرابطة القلمية المفهوم والنشأة:

خرج أدباء المهجر من الأوطان باحثين عن مكان يحفظ ماء وجوههم، فالاعتقاد اللغوي واتقاد قرائحهم الشعرية لم يشفع لهم في قضية الاهتمام بهم، وتبجيلهم، بل منهم من أخرج عنوة أو نُفي إلى خارج الديار. شعور كانت نتيجته الحتمية الرحيل والتأسيس لعالم أدبي ونقدي، وهناك كونوا الروابط الأدبية وأشهرها الرابطة القلمية في الشمال والعصبة الأندلسية في الجنوب. وما نقف عليه اليوم الرابطة القلمية.

نشأت الرابطة القلمية >> في أبريل عام 1920 التقت جماعة من أدباء المهجر في أمريكا الشمالية حول فكرة واحدة هي ضرورة إنشاء رابطة توحد جهودهم وتكتل قواهم، وقد أطلقوا عليه اسم الرابطة القلمية واتضح اتجاهها الأدبي الذي يبحث فيما وراء الأشياء ولا يكتفي بالقشور في الشعر الذي قام بتصميمه جبران خليل جبران ووضع معه هذه العبارة: لله كنوز تحت العرش مفاتيحها ألسنة

الشعراء»¹. لقد أحدثت الرابطة القلمية تأثيراً كبيراً في نهضة الشعر العربي المهجري، كما أحدثت ثورة تناولتها الأقلام بين المدرسة الاتباعية التقليدية وبين المدرسة التجديدية. حيث أعلنت التحرر والخروج عن الشعر التقليدي النموذج، ودعت إلى التجديد شكلاً ومضموناً، وكان وراء فكرة تأسيسها "جبران خليل جبران" وقد ظلت الرابطة إلى عام 1931 ثم تبعثت بوفاء "جبران" ثم "رشيد" و"نسيب" و"ندرة" وغيرهم ثم بعودة ميخائيل نعيمة إلى لبنان.

يتبادرُ في ذهن الباحث وهو يمتطي التنقيب عن نشأة الرابطة، وأهدافها سؤال جوهرية والذي مفاده؟ تحديد هوية أول مهاجر إلى أمريكا؟ ولماذا اختارت الرابطة أمريكا دون دول أخرى؟.

ليس من السهولة بمكان أن نتقنى أثر هوية المهاجر الأول، بينما تحفظ كتب النقد هذه الهوية وتجمع على أولويتها وهو >> الذي شارك الأدب نموه، أول مهاجر هو اللبناني أنطون البشعلاني سنة 1854م كما يذكر د. حسن جاد في كتابه "أدب المهجر" ص 27 ويوافقه د. خفاجي في كتابه "قصة الأدب المهجري" وقد نقلنا هذا الرأي عن "فيليب حتى" ولكن د. محمد مصطفى هدارة يقول: معقباً على رأي "فيليب حتى" والواقع أنه الخوري إلياس الموصلي الذي دخل أمريكا سنة 1688 ثم تبعه فلاييانوس كفوري سنة 1849. ويقال أن أول عربي وطأت قدماه أرض كولومبس هو الدكتور لويس صابونجي عام 1872<<². رغم التفاوت البين في تحديد أول مهجري. تبقى الحقيقة التي لا ينكرها جاحد، أن أواخر القرن التاسع عشر هي بداية الهجرة إلى الشمال أولاً، وبعد عشرين سنة إلى الجنوب.

اختارت الرابطة القلمية أمريكا وتحديداً مدينة نيويورك على وجه الخصوص. لأسباب نذكرها:

¹ صابر عبد الدائم: أدب المهجر، دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية في الأدب المهجري، دار المعارف، كورنيش، النيل، مصر، ط1، 1993، ص18.

² ينظر المرجع السابق، ص14.

*الهجرة كانت من سوريا ولبنان وذلك للحكم الاستبدادي آنذاك دون البلاد العربية "الحكم العثماني".

*كان لبنان يعيش اقتصاديا على وقع الضرائب الفادحة. واستغلال الفلاحين، وتراكم الديون على الملاك اللذين لن يتوانوا في بيع أراضيهم وقطع موارد الرزق للفلاحين.
*حب الشاميين للهجرة والترحال. وهو ما ورثته غريزة التجارة.

*لقد توطدت علاقة أدباء المهجر بأمريكا منذ طفولتهم وذلك للإرساليات التبشيرية الأمريكية وبناء المدارس لتعليم الصغار.

*البحث عن العدل والمساواة. حيث أشيع الحق في أمريكا شيوعا عظيما.

*التأثير الثقافي وجو الحرية، وسهولة الهجرة إلى هذه الدول.

قرر أدباء المهجر الرحيل إلى أمريكا، بلاد المجد والسمو وراحوا يشيعون كل ما هو تقليدي ويبحثون عن الجديد، وكأنهم رأوا في الراهن الخطيئة التي يجب تجاوزها >>وأكدوا على الرحلة والبحث عن كل جميل خارج الحدود، يُرحلون واقعا إذا استطاعوا. لم يبرء أديب في هذا القرن من لوعة السفر، حتى الأمراء المرتبطين بأقاليمهم التي ورثوها، وهم حين يرحلون يرون غرائب الأشياء، ويصيحون معجبين، وهم لا يقفون عند الماديات وحدها، وإنما يتأملون ما تعيش عليه الشعوب من زاد روحي، ممثلا في الآداب والفنون، يعيشون فيها، ويتأثرون بها¹.

لقد كان للعرب نصيبا -أدباء ونقاد- من هذه الهجرات فتدفقوا على أمريكا وتحديدًا شمالها >>وفي مهجرهم نشروا المجلات الأدبية، وأقاموا النوادي، وأفادوا مما رأوه وقرأوه، فجددوا عالم الشعر والنثر والنقد ورققوا أنغام القصيدة، وأضافوا إلى محتواها جديدا من الفلسفة والرؤى، وإلى أشكالها

¹ الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، ط1، 1983. ص53-55.

جديدا من الصيغ والتصوير، مما جعل اتجاههم متميزا في نطاق الأدب العربي وعرفوا باسم شعراء المهجر وترك ذلك صدىً واضحاً في الوطن العربي¹ على يد ثلة من المثقفين الشعراء النقاد.

كان وراء الدعوة إلى تجاوز الراهن، والانطلاق إلى مجال العالمية الفسيح مفكرون وعظماء وأفكار ملهمة، أما عن الرابطة القلمية فمؤسسها "جبران خليل جبران" بدون منازع.

– التعريف بمؤسس الرابطة:

أراد "جبران خليل جبران" أن يسمو بالأدب العربي أيما سمو، وقد وقع اختياره على "الرابطة" دون غيرها من المسميات وذلك تبركا منه، فهم >> جماعة من الأدباء تربط بينهم فكرة مشتركة، يتقاربون ذوقاً، ويجتمعون على مثل أعلى في الفن، ويناضلون من أجل قضية مشتركة، ويتخذون موقفاً فكرياً واحداً من مشكلات عصرهم، ويتعاونون فيما بينهم ضد أشكال الفن الساقط، وإيقاظ الجمهور المتلقي، ومعارضة الانحراف في الفن، تحت أشكاله المتنوعة، والحصول على ثقة الناشرين².

جبران خليل جبران:

شاعر ورسام وكاتب عربي لبناني من أدباء المهجر ولد عام 1883 ببلبنان من عائلة مسيحية مارونية >> تعلم العربية والكتاب المقدس من كهان القرية، درس في أمريكا بعد انتقال أمه عام 1895، وقررت اعادته إلى لبنان ليتلقى تعليمه بالعربية 1898. عرف جبران بعلاقته بمي زيادة التي دامت عشرون سنة، توفي يوم 10 أبريل 1913 جراء تليف الكبد والسل، ودفن ببلبنان تاركاً وراءه عدة آثار منها ما تعلق برسوماته الخالدة على الطريقة الرومانسية. ومنها كتابه الأول باللغة الإنجليزية "The Madman" المخبون للسنة 1918، تبلغ أعماله الفنية أكثر من سبعمائة عمل فني –

¹ المرجع السابق، ص 56-57.

² الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن. ص 397.

رسومات- . ترجمت مؤلفاته إلى عشرات اللغات، ومن مؤلفاته التي ترجمت إلى الصينية رمل وزيد، ودمعة وابتسامة، والني، والأجنحة المتكسرة، كتب جبران: عرائس المروج، الأرواح المتمردة، المواكب، العواصف، البدائع والطرائف، مناجاة أرواح، آلهة الأرض >>¹. كان "جبران خليل جبران" يوضح دائما موقفه من الاسلام وأنه لا ينبذه بل يسعى جاهدا لاحترامه، ويتمنى أن يعود لمجده، ولقد استلهمت العديد من الأفلام الأمريكية سيناريوهاها من أعماله "the prophet" "الني"، "The Broken Wings" الأجنحة المتكسرة.

كان جبران خليل جبران شديد الرغبة في الشهرة والسمو للعالمية، طموح، موسوعي الثقافة، حاذق اللغة الانجليزية، ساعيا للتجديد، كان >> ينزع إلى الحرية والتجديد واكتشاف آفاق جديدة يخلق فيها، ويعبر عنها >>².

سمات التجديد:

لم يكن جبران خليل جبران لوحده في الرابطة القلمية، بل كان لها من الأعضاء ما جعلها تعيش حياة خالدة فهم >> من أعلنوا رأيهم في الأدب حينما قالوا: الأدب هو الذي يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها وهوائها >>³. تشكل الرابطة من عدة أعضاء نذكرهم: "ندرة حداد" و"عبد المسيح حداد" و"نسيب عريضة" و"رشيد أيوب" و"إيليا أبو ماضي" و"وليام كاتسفليس" و"ميخائل نعيمة" الذي تولى مسؤولية الرابطة بعد وفاة "جبران خليل جبران".

كانت الرابطة القلمية تنشر أعمالها ونتاجها النقدي في مجلة الفنون التي أسسها "نسيب عريضة"، ثم مجلة السائح والتي أسسها "عبد المسيح حداد"، وقد توقف نشاط الرابطة يوم وفاة

¹ <https:// Ar.wikipedia.org> جبران خليل جبران حياته

² محمد كريم الكواز: البلاغة والنقد. المصطلح والنشأة والتجديد. ص45.

³ صابر عبد الدايم: أدب المهجر، ص18.

جبران، غير أن تأسيسها قد طبع الأدب العربي الحديث اليوم بطابع رومانسي؛ ارتشف رحيق الاطلاع وحرية التعبير سمات ارتأينا عدها فيما يأتي:

← شيع موضوع حب الأوطان والتعلق بها، والتألم بما يصيبها، والرغبة في نهضتها ومسايرتها لركب التقدم بقول "نعيمة" في قصيدة "قبور تدور":

فخلي	جمالا	يراه	الغرور	**	وليست	تراه	عيون	الدهور
وخلي	الجهاد	وخلي	الطموح	**	وخلي	القصور،	وحي	القبور
ودوري	مع الكون	جيلا	فجيلا	**	فهل	نحن	إلا	قبور تدور ¹ .

← شيع الغربية وموضوع الهجرة والهروب من الواقع لبلاد أخرى يقول "نعيمة":

أطلقت قلبي	***	عند الغروب
ليتسلى	***	مع القلوب
فعاد قلبي	***	بعد الغروب
يشكوا إلي	***	ثقل كروبي ² .

ويقول نسيب عريضة في قصيدته "حكاية مهاجر سوري":

غريبا	من بلاد	الشرق	جئت	**	بعيدا	عن حمى	الأحباب	عشت
اتخذت	امريكا	وطنا	عزيزا	**	فكانت	لي	كأحسن	ما اتخذت
أتاها	للغنى	غيري	وإني	**	كما	جاءوا	مع	الأقدام
ولكني	طلبت	بها	حياة	**	مع	الحرية	المثلى	فنتل ³ .

¹ ميخائيل نعيمة: همس الجفون، ص 65.

² نفس المصدر، نفس الصفحة.

³ نسيب عريضة: الأرواح الحائرة، ص 267.

← النزعة الإنسانية، أصبح حب الخير موجها لكل كائن حي يقول إيليا أبو ماضي:

إن نفساً لم يشرق الحب فيها ** هي نفس لم تدر ما معناها
أنا بالحب قد وصلت إلى نفسي ** وبالحب قد عرفت الله

← ظهور الرمز للتعبير عن المعاني العظيمة دون التصريح بها، وخاصة تلك الرموز المسيحية، والرموز الأسطورية.

← صوغ التجربة الذاتية الخاصة في قوالب شعرية، نستنبط منها أسراراً لنفسية الشاعر. وخاصة الحيرة والقلق والحسرة يقول إيليا أبو ماضي:

جُعت والخبز وفير في وطاي ** والسنا حولي وروحي في ضباب
وشربت الماء عذبا سائغا ** وكأني لم أذق غير سراب
حيرة ليس لها مثل سوى ** حيرة الزورق في طاغي العباب¹

← شيوع التأمل في الكون لمعرفة أسراره، والتضرع إلى الله بالشكوى ليخلصهم من الحياة المادية وشروها >>فالتأمل عند المهجرين لم يقدمهم إلا إلى الحيرة الكونية والصراعات النفسية والارتطام بالواقع<<².

← يقول شكر الله الجر في ديوان الروافد:

أنت لولا الهم لا تفقه معنى الوجود
أنت لولا الحزن لا تسمع أنغام الخلود
لا و لا تسمع همس الله في قصف الرعود
ان في الحزن سرورا لا تراه في السرور
إن في الآلام لذات لأرباب الشعور.³

¹ إيليا أبو ماضي: تير وتراب، ص 74-75.

² صابر عبد الدايم، أدب المهجر، ص 32.

³ شكر الله الجر: ديوان الروافد، ص 44.

← الاعتماد على الطبيعة والاستعارة من مكوناتها، وتشخيصها في مكونات حوارية، واعتبارها كائنات حية تتألم، تشكوا، مثلها مثل الإنسان.

← التصرف في الوزن والقافية وإخضاعهما للتجربة الإنسانية فتسمع بكاء الشاعر من موسيقى شعره.

← الثورة على المجتمع وتقاليده البالية >> >يشور جبران على المجتمع وتقاليده، وقد كانت ثورة انفعالات صارخة، وفي قصة "يوحنا المجنون" يتجسد هذا الشعور حينما يقول على لسان يوحنا مهاجما رجال الدين المسيحي:

تعال ثانية يا يسوع الحي وأطرد باعة الدين من هياكلك فقد جعلوها مغائر تتلوى فيها أفاعي زيفهم واحتياهم، تعال وحاسب هؤلاء القياصرة فقد اغتصبوا من الضعفاء ما لهم ومال الله >>¹.

تفردت الرابطة القلمية بخصائص تجديدية منححتها أهمية كبرى بين المدارس الأخرى. وتزداد أهمية هذه المدرسة أكثر عندما نرفع الستار عن الجانب النقدي الذي تميزت به، وأصبحت ترنو الى نصوص عالمية .

*الرؤية النقدية عند ميخائيل نعيمة: يعد "ميخائيل نعيمة" مصدر الرؤية النقدية للرابطة القلمية، بدون منازع >> كان للشماليين الباع الطويل، وفي مقدمتهم ميخائيل نعيمة بشعره ونثره ومنهجه النقدي الذي عبد له الطريق لكتابة الغربال >>².

ليس من المغالاة في شيء أن ترتقي الرؤية النقدية عند الرابطة القلمية عن طريق "ميخائيل" فهو الذي توعده بحفظ النصوص، وإمطاة اللبس عنها بواسطة المصطلح النقدي الذي ارتآه نعيمة وهو الغريلة التي يقول عنها في كتابه >> >إن مهنة الناقد الغريلة، لكنها ليست غريلة الناس، بل غريلة ما يدونه قسم من الناس من أفكار وشعور وميول، وما يدونه الناس من الأفكار والشعور والميول هو ما

¹ صابر عبد الدايم: أدب المهجر. ص21.

² المرجع السابق، ص18.

تعودنا أن ندعوه أدبًا، فمهنة الناقد إذن هي غربلة الآثار الأدبية، لا غربلة أصحابها، وإذا كان من الكتاب أو الشعراء من لا يفصل بين آثاره الأدبية التي يجعلها تراثًا للجميع وبين فرديته التي لا تتعداه ودائرة محصورة من اقربائه وأصحابه فذاك الكاتب أو ذاك الشاعر لم ينضج بعد، وليس أهلا لأن يسمى كاتبًا أو شاعرًا. كذلك الناقد الذي لا يميز بين شخصية المنقود وبين آثاره الكتابية ليس أهلا لأن يكون من حاملتي الغربال أو الدائنين بدينه»¹.

يعتمد ميخائيل نعيمة في نقده على مؤشرات الغربة، التي تنزع لتحقيق موضوعية النقد، لا ذاتيته، على الناقد أن يتحرى ما يحمله الأثر من محاسن فيقف عندها موضحا إياها، كما يقف عنده ليقوم ما وقع في الناص. تقويمًا يشفع له مرة أخرى. وعليه >> فالأدب عند ميخائيل نعيمة هو أدب ليس إلا رسولا بين نفس الكاتب ونفس سواه»².

إن الرؤية النقدية لميخائيل نعيمة رؤية تفتح المجال واسعا أمام الأدباء والشعراء، ليتنافسوا تنافسا يليق بلغة الضاد، وبالهوة والعروبة.

ما كانت لتتحقق هذه الرؤية النقدية الحديثة لولا السعي الحثيث الذي أبداه ميخائيل نعيمة في كتابه الغربال، وما يمكن أن نختم به. أن ما ميز أدباء المهجر في شمال أمريكا التي أنجبت قرائحهم وثقافتهم "الرابطة القلمية"، قد ميز أدباء المهجر في جنوب أمريكا. وقد تولد عن احتكاكهم العصبية الأندلسية. >> وما إن آذنت شمس الرابطة القلمية بالمغيب حتى سطع هلال العصبية الأندلسية في الجنوب. وكان قيام العصبية الأندلسية في "سان باولو" سنة 1933. فكان صاحب فكرتها شكر الله الجر الذي وجد عند ميشال معلوف الاستعداد للتنفيذ لتقوم العصبية مقام الرابطة»³. التي أفل نجمها في الشمال، وكان ذلك نتيجة إنفراط عقدها بعد وفاة مؤسسها "جبران خليل جبران" وعودة "ميخائيل نعيمة" لأرض الوطن لبنان.

¹ ميخائيل نعيمة: الغربال، دار نوفل، بيروت، لبنان، ط15، 1991، ص13-14.

² صابر عبد الدايم: أدب المهجر، ص18.

³ المرجع السابق، ص19.

المحاضرة الثامنة: النقد التاريخي

تمهيد: اشتغل الدرس الحديث على مختلف الممارسات النقدية ولعل أبرزها ما يُعنى بالنقد التاريخي الذي ظهر في الدراسات اللغوية بطريقة تشرّحية¹. وهي وظيفة اتسم بها النقد في حد ذاته، يقول ابن فارس: النون والبدال والقاف أصل صحيح يدل على ابراز الشيء وبروزه أي تبين مواطن الجدة والرادعة فيه، وإذا اقترن النقد بالتاريخ أنجب ممارسة قائمة على العلم بهدف الوصول إلى حقيقة ما، فالنقد التاريخي مجاله النصوص الأدبية.

1) مفهوم النقد التاريخي وظروف نشأته:

وقف الإنسان البدائي قديما يرسم تاريخه على جدران الكهوف والمغارات، فكان لزاما عليه أن يحفظ ذكريات حياته وصراعه الأبدي مع الطبيعة بلغة تواصلية لغوية وغير لغوية؛ فوجه اهتمامه فيما بعد لذلك العلم الذي يجوي جوانبا هامة من حياته وحياة بيئته ومن يقاسمونه العيش، فكان التاريخ "مجالا" خصبا للاحتواء.

مما لا شك فيه أن التاريخ قد ارتبط بممارسات إنسانية جمّة ولعل أهمها النقد، فأصبح لدينا اليوم "النقد التاريخي"، ما مفهومه، وما ظروف نشأته؟.

1.1 - مفهوم النقد التاريخي: يتجلى مفهوم النقد التاريخي بمهمة الناقد (الذي يربط نتاج الفنان بمؤثرات العصر والبيئة، فيبرز الدور الذي تؤديه في توجيه الأديب، وتكوين ذوقه)²، ليتعمق الناقد في تاريخ النص وبيئته.

تأثر النقد التاريخي عند العرب بما استجد في الساحة النقدية الغربية >> فبعد اتصال أدبنا العربي، بالأداب الغربية وبمذاهب النقد المعاصرة في الغرب، حصل تطور في نقدنا العربي الحديث،

¹ التزامنية والتعاقبية والديكرونية (Synchronique – Diachronique) عند فاردينااندي سوسير.

² عبد اللطيف شرارة وآخرو: في النقد الأدبي، مؤسسة ناصر للثقافة، ط1، 1981، ص349.

فخضع نقدنا كما يخضع له النقد الغربي الحديث، من تفسيرات ومذاهب علمية وموضوعية مختلفة للنقد.¹

أبعاد تاريخية تتحقق عن طريق الحفر والتنقيب وقد أعتمد التاريخ في جل الدراسات العربية، وقد توقف "سيد قطب" في كتابه: النقد الأدبي أصوله ومناهجه عند أول من ألف في هذه المناهج >> حيث يتجلى أول ما يتجلى عند حسين توفيق العدل في كتابه "تاريخ الأدب" وقد اعتمد على التقسيم التاريخي... وتلاه نقاد آخرون تبنا الطريقة المنهجية نفسها في الدراسات النقدية مع اضافات بسيطة ومنهم الإسكندري في كتابه "الوسيط" وأحمد حسن الزيات في مؤلفه "تاريخ الأدب العربي"².

يعتبر النقد التاريخي المنهج الحديث الأكثر أهمية في الدراسات الأكاديمية >> فهو منهج يتخذ من حوادث التاريخ السياسي والاجتماعي وسيلة لتفسير الأدب وتعليل ظواهره أو التأريخ الأدبي لأمة ما³.

يسعى الناقد التاريخي جاهدا لتكبييل النصوص بقيود تاريخية ليصنع زمنية النص وتطوره، وهو المبحث الرئيس لهذا النقد: >> يقوم هذا المنهج على الصلة الوثيقة بين الأدب والتاريخ، فأدب أمة ما من الأمم يعد تعبيرا صادقا عن حياتها السياسية والاجتماعية التي أنتج فيها ومصدرا مهذبا من مصادرها التاريخية، ذلك لأن الأدب يلم بروح الحوادث والأطر المتعاقبة، فيصورها ثم يتأثر بها⁴. يستقي المنهج التاريخي أهميته من الحوادث التي يعمل على تخريجها تخريجا سليما صحيحا. وعليه يستشعر المحلل جدوى المنهج أثناء تحليله.

¹ محمد عبد المنعم خفاجي: مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1995، ص120-121.

² سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2003، ص186.

³ يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، دار جسور للنشر، المحمدية، الجزائر، 2009، ص15.

⁴ أحمد الشايب: أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1994، ص94.

يتصدر النقد التاريخي المناهج السياقية فيدرك من خلاله >> تلك التطورات التي طرأت على الأمة وتاريخها، ويستطيع الناقد أن يتبين تأثر ذلك كله في أدبها <<¹. من خلال معجمه اللغوي، ووقائع العصر وإن كانت متشابهة فإن الفارق يكشفه التاريخ نفسه.

1-2- نشأة النقد التاريخي:

فتح بوابة المنهج التاريخي برؤيته النقدية واسعا ثلة من الفاتحين الذين تمثلوا النقد التاريخي ونهضوا به، أمثال "سانت بيف Charle Augustin Sainte Beuve"، وهيوليت تين H. Taine، وغستاف لانسون Gustave Lanson، وفرانسيس بيكون F. Bicon، وغاليليو Galileo، وجون لوك J. Loke، وبرونتير Brontire.

ظهر النقد التاريخي عندما كشف هؤلاء تزمّت الكنيسة من جهة، ومن جهة ثانية عندما فندوا صنم المعجزة الخالدة من أساطير يونانية واغريقية، تجلّى عندهم الفكر المعارض للماورائيات وذلك التفكير الأسطوري الساذج الذي يحتكم لصراع الانسان مع الطبيعة في شتى مجالات الحياة، وهو المبدأ المسمى عند الفرنسيين استعادة التاريخ وفق ما يخدم البشرية. وهو ما ظهر فعلا في >>فرنسا ابان الثورة الفرنسية في نهاية القرن التاسع عشر، ثورة نقدية فشرع النقاد في دراسة الشعب الفرنسي وتاريخه، وقد ظهر هذا المبدأ في مؤلفاتهم ككتاب ميشيليه <<²

لم تكن استعادة التاريخ في التأليف عبثا، بل استعادة أمجاد أمة (ولا يسعها ذلك الا اذا انتهج الناقد التاريخ) <<³. وعليه >>ألف ميشيليه الفرنسي كتابه الموسوم ب"تاريخ فرنسا" فتحدث عن بيئة الشعب الفرنسي ونشأته وأدرك الجانب اللهجي وتاريخ اللهجة الباريسية المعتمدة على حرف "R".

¹ أحمد أمين: النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط3، ج1، 1963، ص05-06.

² ينظر: شوقي ضيف: في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط9، 2004، ص34-35-36.

³ عارف المخلافي: المستخلص في النقد التاريخي، دار النشر للجامعات، صنعاء، ط1، 2014، ما ورد في مقدمة الكتاب.

كما تناول تطور المجتمع الفرنسي عبر سلسلة من التواريخ¹. وهكذا انتشل الفرنسيون خاصة تاريخ المجتمع الفرنسي، تأثر بهذا المنهج التاريخي الأدباء العرب رغم عراقتهم >> إذ تعد الدراسات التاريخية في النقد العربي من أقدم الدراسات وأعرقها نشأة². وأكثر من يمثل هذا التأثير الدكتور طه حسين.

2-رواده:

شرع العديد من النقاد لتبني النقد التاريخي فمنهم من الغرب ومنهم من هو عربي. أرادوا أن ينهضوا بالتاريخ ويتطلعوا على سياق النصوص وأنساقها خاصة التاريخ منها. توزعوا حسب آدابهم ومعارضهم وأجناسهم ويمكن تقسيم الرواد إلى قسمين على النحو الآتي:

الغربيين:

ظهر العديد من النقاد في الغرب فراحوا ينادون بالنقد التاريخي وبأنه علم كغيره من العلوم له قوانينه ومن أبرز النقاد اللذين أسموا دعائم هذا النقد:

*سانت بيف charle Augustine Sainte Beuve (1804-1869): أول من دعا دراسة الأديب وبيئته ومحيطه بل وحتى أصدقائه، كتب مؤلفيه "أحاديث الاثنين" و"أحاديث الاثنين الجديدة" بدقة لا متناهية.

يتبع سانت بيف S.B في منهجه الطريقة التجريبية العلمية حيث يقسم في كتابيه الأدباء أقسام وفصائل، ويحدد القواسم المشتركة والنقاط الفارقة، وكان الناقد عالم نبات يضع قوانين خاصة. فكيف لا وهو من أشتهر بتسمية عالم التاريخ الطبيعي للأدب.

¹ ينظر، شوقي ضيف: في النقد الأدبي. ص36.

² محمد بلوحي: آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقارنة الشعر الجاهلي، اتحاد كتاب العرب. دمشق، 2004، ص44.

يعتبر سانت بييف Sainte Beuve من النقاد الأوائل الذين انتهجوا المنهج التاريخي فكتب عن القرن السادس عشر والسابع عشر، ودعا النقاد للكشف عن نسق التاريخ ومحاولة تحديد أوجهه في النصوص، ملتزمين في ذلك الدراسة العلمية للأديب والنص وإبراز توجهاتهم الفكرية والوسط الاجتماعي الذي ترعرعوا فيه، وهكذا يوطد الناقد صلة النص بالأديب وتاريخ مجتمعه.

*هيوليت تين H. Taine (1828-1893): يعتبر الفيلسوف والمؤرخ والناقد الفرنسي "تين" من أهم رواد النقد التاريخي.

لقد درس النصوص الأدبية والآثار الغربية في ضوء ثلاثيته الشهيرة الجنس (العرق) Race؛ هي تلك الخصائص المشتركة بين أفراد الأمة الواحدة، والبيئة (المكان) Uilieu: بمعنى دراسة جغرافيا النص من خلال المجتمع الذي نشأ فيه، والعصر (الزمان) Temps وهي مجموعة الظروف السياسية والثقافية والاقتصادية... الخ التي مارست تأثيرها على النصوص الإبداعية.

أخذ "تين" فكره النقدي التاريخي عن أستاذه "سانت بييف". فقد أكد التلميذ فكرة أستاذه في كثير من الدراسات التحليلية درس "تاريخ الأدب الإنجليزي" وجعل كل فرد من المجتمع الإنجليزي جزء لا يتجزأ من أفكار هذا المجتمع وعاداته ومعتقداته وتاريخه. وهو بذلك أثرى النقد التاريخي. والممارسة النقدية بثلاثيته الشهيرة.

*غستاف لانسون (1857-1934) Gustave – Lonson:

أكاديمي فرنسي، لا ينكر أي باحث فضل هذا الناقد الريادي في الدفع قدما بالمنهج التاريخي وصورته النقدية الناصعة. وهو الذي عرف بالأنسونية "Lonsounisme" >> أعلن لانسون عن هويته المنهجية سنة 1909م. في محاضرة بجامعة بروكسل حول الروح العلمية ومنهج تاريخ الأدب، ثم

أتبعها سنة 1910م بمقالته الشهيرة "منهج تاريخ الأدب" التي نشرها في مجلة الشهر "revue du moi" محددًا خطوات المنهج التاريخي¹.

إذا كان الغربيين قد استخدموا المنهج النقدي التاريخي وحاولوا نشر دوره العظيم في كشف تلك الصلة بين الأدباء وواقعهم الثقافي والاجتماعي، فإن العرب لم يكونوا بمعزل عن هذه الممارسة النقدية.

2-2-العرب:

تأثر النقاد العرب في الربع الأول من القرن العشرين، بالممارسة النقدية التاريخية الغربية، فراحوا يبحثون في نقدهم للنصوص الابداعية عما هو خارج النص وكان الأقرب إلى هذا النص الواقع والبيئة وتأثيرهما على الابداع عامة وعلى الأديب خاصة، ما إن نذكر النقد التاريخي وإلا وإرتبط الذكر بالدكتور طه حسين >> الذي اقتفى أثر سانت بييف، واحتذى طريقه في تأليف التراجم الأدبية وجعل من نفسه ناقدا يتقمص شخصية أبي العلاء المعري ليفهم شعره ويتذوقه وينقده نقدا صحيحا².

*طه حسين:

يعد طه حسين >> أول مؤلف سلك المنهج سلوكا حقيقيا فهو الدكتور طه حسين بكتابه الأول ذكرى أبي العلاء، وفي كتبه الأخرى بعد ذلك³. >> طه حسين هو النموذج الأكثر تمثيلا للمثقف العربي الحديث⁴. وليس مبالغة أن تمنح هذه النمذجة لهذا الرائد الذي حول كف البصر إلى مزية عظيمة حين أصبح الوزير الأعمى.

¹ يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص18.

² ابراهيم محمد خليل: النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة العربية، ط1، 2003، ص45.

³ سيد قطب: النقد الأدبي: أصوله ومناهجه، ص186.

⁴ سيد البحراوي: صناعات الثقافة الحديثة في مصر مبدعون ونقاد، الجزيرة، مصر، 2002، ص30.

تدرج طه حسين في تقلد المناصب الراقية من عمادة رئاسة جامعة الإسكندرية، أول دكتوراه في مصر كانت بسفره إلى باريس، وجد توجهه الثقافي في أوروبا وفي فرنسا بصفة خاصة، التي جعلت منه الموسوعة في المعرفة والانتاج، بل وفي السلوك الاجتماعي والحياتي أيضا. كل سلوكياته باتت اليوم نسق من القيم، حيث بدأت بذوره النقدية في كتبه: "ذكرى أبي العلاء" وفي "الشعر الجاهلي" ومقالاته "حديث الاربعاء". تبلور ونضج في "الفتنة الكبرى" و"مستقبل الثقافة في مصر"، و"دعاء الكروان"، و"شجرة البؤس"، و"المعذبون في الأرض" و"الأيام". >> لمنهج طه حسين النقدي عناصره الأساسية كما تبدوا في كتاباته الأولى، وخاصة أشهرها "في الشعر الجاهلي": وهي ربط الأدب بالمجتمع، الجبرية، التاريخية، التطور. وهي عناصر مشروع الفكري، الشك... التاريخية وهذه العناصر الفكرية شكلت نسق طه حسين الفكري >>¹.

رغم الاستقطاب العالمي الذي حققه فكر طه حسين إلا أنه كان محل اتهام من >>الفريق الإسلامي الذي يرى في طه حسين تغريبا وهادما للتراث والدين الإسلاميين رغم ما كتبه عن الإسلام ورموزه، وتاريخ بمنظور ايجابي مازال بعض الإسلاميين يرى طه حسين عميلا، وليس تغريبا فقط >>². مقابل هذه التهم، نجد من يقتفي أثر الرائد الناقد ويجعله نموذجا متفردا في النقد.

كان مشروع طه حسين النقدي يمتلك في تحققة كل ظروف الثورة خاصة، وأخرى عامة، أما عن الخاصة فهو الكفيف الذي كان يعيش على صدقة الآخرين في وضع اقتصادي أقل ما يقال عنه فقر مدقع، أما عن الثورة العامة، فهي ثورة ضد المجتمع التقليدي الذي يسعى إلى الانغلاق في بوتقة مظلمة وهو ما ذكره في كتابه >> في الشعر الجاهلي الصادر سنة 1926 يصف منهج الكتاب

¹ ينظر، سيد البحراوي، المرجع السابق، ص34.

² المرجع السابق، ص38.

بأنه: يقبل العلم القديم رأساً على عقب". ويصف نتائجه بأنها "إلى الثورة الأدبية أقرب منها إلى أي شيء آخر"¹.

ثورة طه حسين فسرهما البعض في كتابه الشعر الجاهلي، ثورة ضد الإسلام والنبي صلى الله عليه وسلم بل وصل إلى درجة الاحقاد، وهو ما نفاه الناقد نفيًا قطعياً، لقد جاءت ثورة الناقد نتيجة لظروفه الشخصية منها وانبهاره بالنموذج النقدي والفكري الفرنسي، وعليه يبقى مشروع طه حسين النقدي يلقي الصدى الكبير بين المعاصرين والباحثين. لم يكن الرائد طه حسين من امتطى موجة النقد التاريخي لوحده. بل هناك أتباعه كثر، نذكر من بينهم الدكتور "أحمد ضيف" >> يعد أحمد ضيف أول عربي تخرج من مدرسة لانسون الفرنسية². وصاحب كتاب النقد المنهجي عند العرب "محمد مندور" كتاب خصصه لدراسة منهج البحث في الأدب واللغة والذي يقول عن سبب الاهتمام بهذا النقد معترفاً بالأسباب الجوهرية الموضوعية: >> ترجع إلى اعتقادي الراسخ بضرورة استفادتنا من تجارب الغير ومن التقدم المنهجي الكبير الذي أحرزه الباحثون الأوروبيون في مجال الأدب واللغة³. ويؤكد على أن هذا الأخذ لن يحقق جدواه دون الالتفات إلى تراثنا العربي >> وعندي أن هذه الاستفادة لن تكون صحيحة وسليمة وعميقة واعية إلا بعد دراسة تراثنا العربي القديم في الأدب والنقد وعلوم البلاغة المختلفة حتى تقوم استفادتنا على أساس من المعرفة بنواحي تلك الاستفادة⁴.

وما ينبغي الإشارة إليه أن هناك من النقاد من حولوا أطروحاتهم الجامعية إلى معالم نقدية تحفر وتنقب عن التاريخ >> إذا كان أحمد أمين قد كتب "فجر الإسلام"، و"ضحى الإسلام"، و"ظهر الإسلام"، فإن التنقيب الأكاديمي كان عند شوقي ضيق وسهير القلماوي وعمر الدسوقي في مصر،

¹ طه حسين: في الشعر الجاهلي. ما ورد في تمهيد الكتاب. نقلاً عن: سيد البحراوي: صناع الثقافة الحديثة في مصر، مبدعون ونقاد ص 46.

² شكري محمد عباد: المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، سلسلة المعرفة، الكويت، 1993، ص 83.

³ محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، مترجم عن الاستاذين لانسون وماجيه، دار نفضة مصر للنشر، ط9، ص 03، 2014.

⁴ نفس المرجع، ص 3.

وشكري فضيل في سوريا، ومحمد الصالح الجابري في تونس، وعباس الجراري في المغرب وأبو القاسم سعد الله وصالح خرفي في الجزائر¹.

مبادئ المنهج النقدي التاريخي:

مما لا شك فيه أن المنهج النقدي التاريخي ما كان ليحقق ذروة الشيع، ما لم يحتكم في تأسيسه لعدة مبادئ تكفل تبنيه كممارسة قبل كل شيء، ويمكن أن نلخص تلك المبادئ فيما يلي:

* توليد المحيط الخارجي للنص عبر تفعيل الأنساق، فالنص وليد بيئة اجتماعية معينة.

* الاهتمام بدراسة المتون الأدبية الموعلة في التاريخ.

* الاحتكام لثقافة التاريخ السياسي والاجتماعي للنص الأدبي وحتى للمبدع.

* الالتزام باستخدام المنهج العلمي في جميع خطواته.

* الاعتماد على النقد الداخلي والخارجي للنص.

وما يحسن قوله أن المنهج النقدي التاريخي، قد أثر في كثير من النقاد والأدباء على حد سواء، فكان المعين الذي يجمع تاريخ الأمم، ويتقصى مراحل تطورها، ويُفعل نسق الثقافة والعادات والتقاليد بل حتى اللغة. ليطلعنا في الأخير على حقيقة مفادها: أن لا نص إبداعي بدون مؤثرات خارجية ولا عوامل اجتماعية. هكذا حقق المشروع النقدي التاريخي حلم العالمية عامة والفرنسيين خاصة.

¹ يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، ص 20.

المحاضرة التاسعة: النقد الاجتماعي

تمهيد:

إن الباحث اليوم أمام كائن يتيم ألقى في الفضاء يمتلكه كل من وجدته، وقد يتوافق هذا الكائن ورؤية سوسولوجية خالصة، فتحقق هذه الرؤية إذا كانت نقدية ما يسمى بالنقد الاجتماعي! إن النقد الاجتماعي قد أعلن ارتباطه بالسوسولوجيا القائمة على النظرية الماركسية، فيعرف النص بمحيطه الذي جعله نتاجا للجماهير. ينتج من ذات خنقها الصراع، وعليه فإن النص الأدبي يبقى قاصرا لا يستطيع إن تجاوز الحدود الاجتماعية، فالنص يتحقق أثرا فعالا في اقحامه عناصر اجتماعية لأنه وليد المجتمع والمجتمع وليد الإبداع.

النقد الاجتماعي المفهوم والنشأة:

يعد النقد الاجتماعي من أكثر الممارسات رواجًا في الساحة التحليلية، نظرا لغاياته البراغمية، والتي تبرهن على أن النص وليد المجتمع الذي ظهر فيه، يعكس صراعاته، يفضح الطبقة الاجتماعية المورثة، فيبرز قضايا اجتماعية حادة، فالأديب لا يكتب من أجل أن يضحك المجتمع دائما، ولا الناقد يبحث في نقاط ضعف المبدع لغويا دائما، إنما يكتب وينقد النص خدمة لمجتمع ارتبط في جميع حيثياته بعلاقات انسانية شتى.

يتصل النقد الأدبي اتصالا وثيقا بالأدب، ويتصل الأدب بالمجتمع، فمحيط الإبداع يرتشف رحيق المجتمع وعليه فإن المنهج الاجتماعي >> هو الذي يهتم اهتماما بالغاً بعلاقة الأدب بالواقع الاجتماعي الذي صدر عنه والذي يعتبر انعكاسا كما في هذا الواقع من رؤى وصراعات <<¹.

هيات مجموعة من العوامل نشأة النقد الاجتماعي وميلاده ولعل أهمها مخلفات الحرب العالمية الثانية، وما يسمى بعصر التنوير والثورة ضد الكنيسة، استفاق الشعب على نداء الأصوات التي بثت

¹ صبري حافظ: أفق الخطاب النقدي، دراسات نظرية وقراءات تطبيقية، دار الشقيقات، القاهرة، ط1، 1992، ص137.

هنا وهناك عوامل (جاءت بعد العرب العالمية الثانية لتكوين هذا الاتجاه، وخاصة قضية التحرر الوطني.. كما ازدهر الاتجاه الاجتماعي في معظم المنتديات، وفي العديد من المجالات الثقافية الجديدة خاصة "الرسالة الجديدة" و"العدد" و"الشهر"، وكتب محمد مندور ولويس عوض والعديد من الكتب التي تعمق مفهوم النقد الاجتماعي على الصعيدين النظري والتطبيقي)¹.

أثر النقد الاجتماعي على النصوص الابداعية تأثيرا كبيرا حينما (اضاف بعدا جديدا ومهما عندما رابط الانتاج الأدبي بالظروف الاجتماعية وأوضح العلاقة الديالكتيكية بين الأديب وبيئته الفكرية والسياسية والاجتماعية)².

ولذلك تحتم علينا دراسة النصوص والانطلاق من لغتها؛ كون >>اللغة وليدة لتطور تاريخي تدخل فيه مؤثرات عديدة متباينة<< أهمها مؤثرات اجتماعية. ولما كانت هذه المؤثرات قوية أشاعت ممارسة نقدية تتوغل في المجتمع وتحكي بلسانه، ألا وهي النقد الاجتماعي الذي ظهرت بوادره >>في القرن التاسع عشر في كتابات "مدام دي ستايل" لتشير إلى دراسة الأدب من حيث علاقاته بالمؤسسات الاجتماعية، حيث أصدرت عام 1800م كتابها الشهير "الأدب في علاقته بالأنظمة الاجتماعية">>³.

تشكل علاقة الأدب بالمجتمع عبر تلك الممارسات النقدية التي لا تتصور نصا ابداعيا يُفصل فيه المبدع عن بيئته وعن محيطه، فالأديب >>لسان المجتمع، والأدب صورة العصر والمجتمع، والأعمال الأدبية وثائق تاريخية واجتماعية<<⁴ توطد الصلة بين الفرد كونه جزءا بالمجتمع كونه الهيكل.

¹ صبري حافظ، المرجع السابق، ص 139.

² عبد اللطيف شرارة: في النقد الأدبي، ص 56.

³ سمير حجازي: مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار التوفيق، بيروت، لبنان، ط 1، 2004، ص 86-87.

⁴ صلاح فضل: في النقد الأدبي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، د.ط، 2007، ص 40.

لقد صدق بيير زيمّا عندما أقر بهذه الصلة الهادفة كخدمة اللغة من جهة، والمجتمع من جهة أخرى إذ يقول: >> إن النقد الأدبي ليس إلا دراسة سيميوطيقة أو أسلوبية بمنظور اجتماعي، وتنطلق دراسته بصفة أساسية من تحليل الخطاب اللغوي أو اللغوي الاجتماعي أو اللهجات الجماعية في النص، باعتبارها بنى اجتماعية بالماهية، تحمل خصائص اللحظة التاريخية التي تنتمي إليها، فمن تحليل الأسلوب أو اللغة داخل النص يصل إلى الدراسة التركيبية الدلالية المتكاملة القادرة على كشف النص والمجتمع في نفس الوقت، ودون انفصال، وهو بهذا يواصل بجهد ملحوظ ومفيد، خاصة في الدراسات التطبيقية على الروايات، إنجاز ميخائيل باختين وغيره من منظري الاتجاه الهام الذي يبحث عن العلاقة الاجتماعية داخل البنى النصية، باعتبار أن العلاقة بين المجتمع والنص ليست علاقة انفصال¹. لطالما ارتبط الانسان بمجتمعه فوقف معارضا كل ما يعكر صفو هذا الارتباط، ولذلك كان النقد الاجتماعي >> تاريخ نضال الغالبية المغلوبة ضد الأقلية الظالمة².

استوعب النقاد تلك العلاقة بين النص والمجتمع، فراحوا ينقبون عن تلك الآثار التي جاءت لتفصح عن المغيب والهامش من المجتمع.

2-رواده:

إن النص الإبداعي لا يعدو كونه صورة من صور المجتمع، فالمبدع يتحدث عنه بوصف حيثياته وتحليلها. وعليه من العسير بمكان فصل الظاهرة الأدبية عن الظاهرة الاجتماعية، وكلاهما يحتاج في بقائه الممارسة النقدية التي ظهرت عند رواد هذا المنهج النقدي.

1.2- عند الغربيين:

لا مرية اليوم أن يلصق الباحث الأكاديمي النقد الاجتماعي بالمدرسة الماركسية. >> التي استطاعت عام 1930 أن تعطي تفسيراً علمياً وموضوعياً للعلاقة بين الأدب والمجتمع³.

¹ بيير زيمّا: النقد الاجتماعي نحو علم اجتماع النص الأدبي، ص 09-10.

² وسيلة خزار: الأيديولوجيا وعلم الاجتماع، جدلية الاتصال والانفصال، ص 24.

³ ينظر: أندريك أندرسون امبرت: مناهج النقد الأدبي، تر: الطاهر أحمد مكّي، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1991، ص 120-122.

*كارل ماركس **Karl Marx**: اشتغل العالمي "Marx" على تقنين الوعي فنشأت الماركسية في ألمانيا على يد كارل ماركس "Karl Marx" >> بانتقال عرش الفكر إلى ألمانيا خلال القرن التاسع عشر، انقلب المفهوم، وأصبح التاريخ والمجتمع بدلا من العقل الذي هو مناط الحقيقة، وقد شهد الفكر تطورا مهما على يد كارل ماركس **Karl Marx** <<¹.

يتخذ ماركس من البنية الاجتماعية مفهوما ايدولوجيا وخاصة ما تعلق بالطبقية، ويترجم علاقة الوعي بالمجتمع فيقول >> ليس وعي الناس هو الذي يحدد وجودهم، بل على العكس من ذلك، فإن وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم <<² كما استحضرت "بمعي العيد" هذا التطور >> الوعي الاجتماعي، والطبقة الاجتماعية، والبنية الاجتماعية، مع مراعاة الشروط التاريخية والاجتماعية والثقافية لتشكيل آلية الفكر <<³. وعليه فالأوضاع الاجتماعية تعكس مادية الفكر، وتلازمه بالضرورة، لقد ظهر النقد الاجتماعي في قرن يسمى >> بالقرن الأعظم <<⁴. الذي >> صنع مدرسة فرنسية كان لها شأن كبير ونفوذ شاسع في فرنسا <<⁵. وخاصة ما قامت به "مدام ديستال" في كتاباتها الباحثة عن المجتمع الفرنسي وأثر الكتابة عنه.

جورج لوكاتش **George Lukace**:

لقد تشبع جورج لوكاتش بكثير من المعطيات الماركسية، وكان يظهر ولعه بفكر ماركس في كل مرة، إنه الفيلسوف وعالم الاجتماع، المجري >> كان أول مُنظر يطور تطورا مهما نظرية ماركس، وهو القائد الشيوعي، والناقد الأدبي والفيلسوف اشتهر بكتابه "التاريخ والوعي الطبقي" <<⁶.

¹ وسيلة خزار: الايدولوجيا وعلم الاجتماع، بداية الاتصال والانفصال، منتدى المعارف الحمراء، بيروت، لبنان: ط1، 2013. ص19.

² بمعي العيد: الدلالة الاجتماعية لحركة الأدب الرومنطقي في لبنان، ص13.

³ بمعي العيد: الدلالة الاجتماعية لحركة الادب الرومنطقي في لبنان "بين الحرين العالميتين، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط2، 1988، ص13.

⁴ بيير زيماء: النقد الاجتماعي نحو علم اجتماع النص الأدبي، تر: عابدة لطفي. ومراجعة: أمين رشيد وسيد البحراوي، دار الفكر القاهرة، ط1، 1991، ص27.

⁵ أيوب سمير: تأثيرات الايدولوجيا في علم الاجتماع، معهد الانماء القومي، بيروت، ط1، 1983، ص27.

⁶ ينظر: جورج لوكاتش: التاريخ والوعي الطبقي، تر: حنا الشاعر، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص45.

يؤكد لوكاش "Lukace" على شيوع المفهوم الطبقي وما تبعه من أخلاق وصفات، وقد اهتم بدراسة الطبقة "البروليتارية"، وشجع ذلك الوعي الفعال للوعي الطبقي، يعتمد لوكاتش في أغلب كتابته نظرية "الانعكاس" التي من شأنها أن تصنع الفرق بين الأدباء والنقاد وعلى وجه الخصوص بين الطبقات، وهي فكرة أشار إليها أرسطو قديما وهي نظرية "المحاكاة" فالفنان لم يخلق ليصمت، بل ليحاكي ما يجوب حوله من تفاصيل واقعية لا زيف فيها.

لم يتوقف النشاط النقدي الاجتماعي عند هاذين العلمين فقط؛ بل لزام علينا أن نذكر الفيلسوف الفرنسي جورج سوريل G, Seril الذي قسم الجنس البشري إلى >> قادة وأتباع إلى نخبة Elite وقطيع herd كما قسمه إلى شعوب راقية وشعوب منحطة<<¹. فالنصوص جاءت لتنصف هذه الطبقة المنحطة الكادحة والتي كانت >> عاجزة عن خلق فكرة... نتيجة لاغترابها وانفصالها عن الانتاج، ونظرا لوضعها داخل خريطة القوى داخل المجتمع<<².

***إيمانويل كانت Immanuel Kant**: من أبرز المفكرين الذين حاكوا المواقف الفكرية الجديدة، المطالبة بالالتفات للنقد والاجتماعي على وجه الخصوص. كانت Kant من الذين >> تركوا بصماتهم التي لا تمحى على مسيرة الفكر والتاريخ<<³ عبر مراحل ساهمت في احداث نشاط تغييرى على مستويات عدة. سياسى، وثقافى، واقتصادي واجتماعى أكثر من سابقه، بات التفكير في بيان فكر الأنا بدرجة أولى المعبرة ما يصاحبها من متغيرات داخل المجتمع. فتحكى على لسانه.

¹ Vu: Karl Mannheim: Idéologie et Utopie, éd: électronique, p39.

² نبيل محمد توفيق المألوطي: الايديولوجيا وقضايا علم الاجتماع النظرية والمنهجية والتطبيقية، منتدى سور الأزبكية: دار المطبوعات الجديدة الاسكندرية، د.ط، 1990، ص30.

³ كارل مانهايم: الايديولوجيا والبيوتوبيا، مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة، تر محمد رجا عبد الرحمن الديري، شركة المكتبات الكويتية، ط1، أكتوبر 1980، ص46.

إن الرواد الذي ذكرنا، لم يكن مساهم النقدي ليكشف لولا بقية النقاد الغرب الذين أثروا هذا المنهج وعلى رأسهم: لوسيان جولدمان ولينين... وغيرهم.

2.2- عند العرب:

لقد اهتم النقاد العرب بالممارسة النقدية الاجتماعية وكان أبرزهم "سلامة موسى" و"أحمد أمين" ومرجعها في ذلك التأثير بالفكر الاجتماعي والتاريخي الفرنسي خاصة، الرائدان هيوليت تين Teine وسانت بين S. Beuve.

لقد مثل الناقد العربي "سلامة موسى" المنهج الاجتماعي ونقده أحسن تمثيل، وكان من أوائل النقاد الذين ربطوا النص الأدبي بالمجتمع، وقد ساهم بعده في تطوير النقد الاجتماعي لويس عوض الذي أجرى بحوثا عدة، تنقب عن المجتمعات السائدة والباطنة في نصوص إبداعية. >>إننا نجد في التراث القديم نقدا للمجتمع وسلوكياته ككتاب البخلاء للجاحظ، والحرص على الربط بين المعنى الشريف واللفظ الشريف الذي نجده عند بشر بن المعتمر، وبعض الملاحظات المنتشرة في كتب النقد القديم التي تحث على الربط بين المستوى التعبيري ومستوى المتلقين. أما في النقد الحديث فنجد بعض الدعوات إلى الاهتمام بالاتجاه الاجتماعي في النقد الأدبي عند شبلي شميل، وسلامة موسى، وعمر الفاخوري، وقد اقترب هذا المنهج من المدرسة الجدلية عند محمد أمين العالم، وعبد العظيم أنيس، ولويس عوض¹.

محمد مندور: عاش في فترة شهد الأدب العربي قفزة نوعية على إثرها، محمد مندور (1907-1955) يعد الناقد العربي صرحا نقديا اجتماعيا بين الآداب الغربية والعربية، وبين الممارسات النقدية خاصة الفرنسية منها. أصدر كتابه "تاريخ النقد عند العرب"² مبرزاً أهمية التاريخ والمجتمع في صنع

¹ آراهه منتظري ومحمد خاقاني ومنصوره زركوب: النقد الاجتماعي للأدب نشأته وتطوره، مجلة اضاءات نقدية (فصلية محكمة)، السنة الثانية، ع6،

ضيف 1391 حزيران، 2012، ص20.

² ينظر يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، ص19.

شخصية أدبية تلم بحيثيات الواقع. كما كتب محمد مندور >> بعد ثورة يوليو 1952 عن انفتاح المجتمع المصري، اختار أن يحمل شعار: الأدب نقد للحياة >>¹ وهكذا تبقى العلاقة بين >> الأدب والمجتمع علاقة جذرية متماسكة ولا يتولد فن عموماً ولا أدب خصوصاً إلا في الجماعة >>².

3- خصائص النقد الاجتماعي:

لقد شهدت الدراسات النقدية اهتماماً كبيراً بالنقد الاجتماعي، نظراً للتطور المهول الذي راح يتوسع في العصر الحديث، لم يكن الاهتمام بهذه الممارسة النقدية عبثاً وإنما للمزايا والخصائص التي ميزت النقد الاجتماعي التي نجملها فيما يلي:

- ← تسجيل القضايا الاجتماعية وجعلها صوراً تشهد على مجتمع بعينه.
- ← إصاق الأدب بالواقع التصاقاً يومية وشعبياً حيث لا يتحدث الأديب إلا عن واقع عيشه، أو واقع يريد أن يعيشه على الأقل، أو تجربة خاضها.
- ← الحكم على اجتماعية النص وخاصة الشعر بتجربة حقيقة إذ يقول أحدهم: إن القصيدة الشعرية يجب أن تكون معيشة.
- ← العناية بالواقع وتقبله، والتطلع للارتباط به دوماً.
- ← التماس المبدع بمطلق الحرية الفنية المواقع وخاصة قضايا مجتمعه وعصره.
- ← الأدب شكل من أشكال التعبير عن الواقع، يحتوي آماله وآلامه ولغته.

¹ أحمد كمال زكي: النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته، دار النهضة، العربية بيروت، لبنان، ط2، 1981، ص207.

² ازادة منتظري وآخرون: النقد الاجتماعي للأدب نشأته وتطوره. ص2.

إن العمل الابداعي ليس مجرد انعكاس للمجتمع فحسب، بل تسارعت مجموعة من الأسباب لتجعله يعيش وقع النقد الذي كان وراء تطوره ولعل أهم هذه الأسباب:

← ظهور الطبقة داخل المجتمع، صراع الطبقات بين ارسطراطية وبرجوازية وبروليتارية.

← شعور الفقراء بتمرد الأغنياء بسبب الاستيلاء على أموالهم بدون حق.

← شعور الأغنياء بالحسد من طرف الفقراء على ما لهم من رزق.

← الاشادة بالفارق الحياتي بين القوة والضعف.

ويعد أكبر سبب لوجود "نقد اجتماعي" بصفته ممارسة، ظهور كارل ماركس (1818-1883) "Karle – Marx". واكتشافه لقانون حل النزاعات داخل الطبقات الاجتماعية المختلفة.

تتجسد أهمية النقد الاجتماعي اليوم في طبيعة الكشف عن محيط وبيئة النص الابداعي والمبدع في كثير من الحالات، ليضاف عامل الجمال الذي ينشده النص في ربط القارئ بموطنه تارة وبواقعه تارة أخرى. يقال بأن تأثير نقد ما يمتد إلى غاية استمراره ممارسة، وهو ما استطاع الاحتفاظ به النقد الاجتماعي تنظيرا وتطبيقا، غير أنه حمل عديد المزالق التي سارعت في البحث عن منهج نقدي آخر يمنح نسقا آخر التميز في ساحة النقد أما عما وقع فيه النقد الاجتماعي يمكن ادراجه فيما يأتي:

← قتل روح الإبداع؛ عندما اعتمد الناقد الاجتماعي قانون جان كوهين Jean Koheen:

ليس الشاعر شاعرا لأنه يفكر أو يحس، ولكن لأنه يقول . سيطرة التوجهات المادية مما عجل بزوال حرية المبدع.

← تجريد المبدع من عملية الابداع واطهار جماليات التفرد.

← اهمال الجانب الفني بما يساق فيه من جمال النسيج وأناقة اللفظ وبديع التصوير والاهتمام

بالأعمال الثرية وتركيز الناقد على شخصية البطل.

← الماركسية تحت الحق في امتلاك الحرية التي أقرها الاسلام حول تكريس كرامة الفرد، حيث يصبح الفرد مجرد رقم في المجتمع يكدح من أجل الناس؛ لأن الفرد سيد نفسه داخل مجتمعه، هذا الفارق يؤكد على هذه الحرية متى استعبدت الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا. لكن دون الذهاب بعيدا في حرته حتى لا يسيء لغيره، ولا يعتدي على حقوقهم، ولا يعلوا في الأرض، ولا يعيشوا فيها فسادا.

وما نختتم به، أن لكل منهج نسقي أهميته النقدية، وهو ما أدركناه من النقد الاجتماعي فلم يزد النقد إلا اغناء وذلك بظهور مناهج أخرى على أنقاضه، ثارت على النقد الاجتماعي فاستطاعت أن تثمر هذه الثورة العلمية كتابات أدبية رصينة، ما كانت لتفيد الباحث لو لم تكن هناك ممارسة نقدية اجتماعية والتي تمثلها بامتياز غربًا "جورج لوكاش"، و"لوسيان غوادمان"، و"أحمد أمين"، و"سلامة موسى"، و"لويس عوض".

المحاضرة العاشرة: النقد النفسي

تمهيد: توج العالم النمساوي، والطبيب النفسي سيغموند شلوموفرويد Sigmund Freud العلاقة بين النقد وعلم النفس بأبهى الحلل، لذا أمكننا أن نربط بين النص الأدبي والحكم عليه والداخل البشري، ، تطورت هذه العلاقة كثيرا وخاصة بعد ظهور الرومانسية التي أبرزت أسماء عديدة، والتي بدورها حاولت أن تربط الخلق الأدبي والحكم له أو عليه بقوانين علم النفس مثل "روسو" "بليك"، "جوته". وهو أكثر ما يتضح لدينا من العلاقة التي ربطت النقد بالنص النفسي. لقد استطاع "اندرية بريوتو Andre Breton" أن يؤسس بذلك نص الحلم مقابل نص الواقع.

مفهوم النقد النفسي وظروف نشأته:

تطورت العلاقة بين الأدب وعلم النفس عبر الزمن حتى تشكل لدينا ما يمكن أن نطلق عليه "علم نفس الأدب"، أو العلم الذي يدرس نفسية الأديب و من هنا أصبحت الدراسات تتبنى منهجا نقديا نفسيا >> فالأدب ترجمان العقل والنقد، والأديب في كل ما يصدره من نشاط يستوحي تجاربه النفسية، ولهذا فالأدب مرآة عاكسة لنفسية صاحبه <<¹.

وأما إذا اقترن النقد بعلم النفس فيصبح بذلك منهج النقد النفسي >> التصور الحقيقي بالنظر في تلك العلاقة وتحديد معالمها علميا، وقد ساعد على ذلك اتجاه التفكير الحديث نفسه: أي الاتجاه العلمي الانفعالي، وإلى الدكتور طه حسين يُعزى الفضل في لفت انتباه الدارسين إلى منهج علمي في دراسة الأدب <<². وأبسط مفهوم للنقد النفسي هو: اخضاع النصوص الابداعية لنظريات نفسية، يكتشف الناقد من خلالها العقد، والأمراض النفسية التي تفسرها ظواهر أدبية شتى.

¹ عبد العزيز عتيق: في النقد الأدبي، دار النهضة العربية بيروت، لبنان، 1972، ص295.

² عز الدين اسماعيل: التفسير النفسي للأدب، دار العودة، بيروت، لبنان، ط4، 1981، ص14-15.

للقند النفسي ارهاصات تجعل منه المنهج العريق الجديد >> للاتجاه النفسي في النقد الأدبي جذور تضرب في أعماق التراث <<¹. ويمكن تلخيصها في:

*الرؤية الأفلاطونية: التي لطالما مجدت الذات الشاعرة، وأشادت بدور النفس البشرية في تقديم أي عمل ابداعي، وهنا نتذكر "نظرية المحاكاة" التي تستغل باطن الفرد فتقيم بنيان واقع حلم. وقد تتصرف الرؤية الأفلاطونية إلى ما يسمى "التطهير" و"الخلاص"، وهي نظريات نفسية تبوح بما تمنع الأديب البوح عنه.

*المنجز النقدي العربي:

ربط الدرس العربي بمختلف علومه سابقا النص بنفسية صاحبه، وقد أقيمت الأسواق لتذوق مثل هذه النصوص، من منا لا يتذكر "سوق عكاظ"، مرصد النقاد، ومسرح الشعراء، ناهيك عن المجد الذي وصل إليه النقد من فطاحلة عظام، أمثال "الجاحظ"، و"ابن سلام الجمحي"، و"أبي هلال العسكري"، و"قدامة بن جعفر" وصولا "للعقاد" و"المازني" و"شكري"، وبدون منازع "طه حسين"، ليلقى النقد رواجاً عند "محمد مندور"، و"سلامة موسى"، و"أنيس عبد العظيم"، و"محمد لمصايف". لقد أوحى النقاد العرب بهذا المنهج في ممارساتهم ومقاربتهم لنصوص شتى، متخذين علم النفس منطلقاً لهم، فالدكتور "طه حسين" في كتابه "ذكرى أبي العلاء" يكشف تلك العاهة النفسية التي خلفتها العاهة الجسدية كونه كفيفاً، كما لا يفوتنا طه حسين نفسه الذي ظهرت نفسيته المتأزمة المتعطشة للخلاص وآخرين في كثير من كتب، ولقد كان >>العقاد أكثر نقاد جماعة الديوان شهرة وذيوع صيت، وله مكانة أدبية كبيرة نابعة من تعدد مجالاته الأدبية، فهو كاتب وناقد ومترجم ومؤرخ ومفكر وفيلسوف وصاحب معارك أدبية تصدى لغير كاتب وغير أديب <<² بطريقة نقده النفسي، وخاصة عندما هز العرب عامة ومصر خاصة بتحامله العنيف ضد أحمد شوقي "أمير الشعراء". هذه

¹ أحمد حيدوش: الاتجاه النفسي النقد العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، 1990، ص77

² إبراهيم محمود خليل: النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك. ص48.

المعركة التي ألهبت النقد آنذاك بين مساند ومعارض حيث أتهم شوقي بالتكسب وأنه شاعر بلاط يتحرى الفرص الساخنة للتقرب من الخديوي إسماعيل.

*إرهاصات النقد النفسي:

تتداخل الإرهاصات الغربية والعربية لتصنع ذلك النقد النفسي الذي اعتمده الدرس العربي قديما وفقا لملاحظات عامة تناثرت في >> ثنايا الكتب البلاغية والنقدية العربية القديمة، لتأكيد وجهة نظرهم، وقد أمدهم كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة وكتابا أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني وغيرهم بزيادة كثير <<¹ ليزال الأخذ من معينهم حدث إلى اليوم.

تعج الدراسات التحليلية اليوم بأهداف تبغي حقيقتها، انطلاقا من الدرس العربي القديم في محاولات تكشف عن أصول علم النفس والنقد النفسي في كتب التراث العربي. لكن ذلك التأصيل بقي مشروعا عالقا إلى اليوم.

أُعتمد المنهج النفسي ومن ثمة النقد النفسي في العصر الحديث فتلقفته الأتباع بممارسات تطبيقية كاشفة عن الأنا ودورها في النصوص الإبداعية، فباتت هذه الأخيرة ميدانا لتحليل العقد والأمراض النفسية.

الفكر الريادي لفرويد:

التعريف بالرائد:

لقد ارتبط التحليل النفسي في الأدب والنقد برائد علم ألا وهو الطبيب النفساني سيجموند فرويد S. Freud (1856-1939) طبيب نمساوي من أصل يهودي >> يعتبر مؤسس علم التحليل النفسي، اختص بدراسة الطب العصبي، وأسس مدرسة التحليل النفسي وعلم النفس.

¹ أحمد حيدوش، المرجع السابق، 77-78.

اشتهر "فرويد" Freud بنظريات العقل واللاوعي، خلق ما يسمى الممارسة السريرية في التحليل النفسي والتي اعتمد فيها الحوار مع المريض بدرجة أولى. يأتي منهج فرويد "التحليل النفسي" كاستجابة لرغبة طالب طب اتقد ذكاء وكان المتفوق دائما - تشريحية اكلينيكية- ولقد كان لأستاذه وموجهه والمعين له "جوزيف بروير Joseph Breuer" دورا "كبيرا في مشوار فرويد العلمي. وقد نشر كتاب "الهستيريا" <<¹، الذي لقي رواجاً كبيراً خاصة فكرته القائمة على التفريغ عن طريق التنويم. كما كشف فرويد عن حالات الانحلال العقلي، وغيرها من الأمراض النفسية.

استقطب الفكر النفسي الفرويدي الكثير من الأطباء، بل أهل الفن والأدب خاصة عند اعتمادهم فكرة الصراع، الكبت، اللاشعور، العقد، عقدة أوديب... ، الأنا، الرغبات الجنسية. لقد ترك المحلل النفسي إرثاً فكرياً ونفسياً ونقدياً بامتياز ولعل أشهر مقولاته ما يلي:

- ← يكون المرء في غاية الجنون عندما يجب.
- ← البشر أقل أخلاقية مما يعتقدون وأكثر فسوقاً بكثير مما يمكنكم تخيله.
- ← نستطيع أن نقاوم الهجوم والنقد، لكننا عاجزون أمام الشناء.
- ← التقدم الذي نحرزه: في العصور الوسطى كانوا سيحرقونني. أما الآن فهم راضون بحرق كتيبي.
- ← إنه لتدريب جيد أن يكون المرء صادقاً تماماً مع نفسه.
- ← ليس بمؤمن من لا يعيش وفقاً لإيمانه.
- ← لا يمكن إجبار أحد على الإيمان، فلا يمكن أيضاً إجبار أحد على عدم الإيمان.
- ← الوقت الذي يقضيه المرء مع القطط لا يكون مهدراً أبداً.

¹ جان بيلمان نويل: التحليل النفسي والأدب، تر: حسن المودن، المجلس الأعلى للثقافة، 1998، ص20.

← مستلزمات العدالة أول مستلزمات الحضارة.

لقد استفاد النقد العربي أيما استفادة من التحليل النفسي الفرويدي، فراحوا يكشفون ما أسماه "التداعي الحر"، وهي ما يُعني بتفريغ العيوب، ومختلف الغرائز والمكتوبات الجنسية. كما استفاد من ثلاثية النشاط النفسي الأنا، والأنا الأعلى، والهو. ساهم فرويد في تطور التحليل النفسي >> بأعماله الأدبية وبنشر الكثير من الكتابات والمقالات النقدية منها: حلم اليقظة في 1908، وهذيان الأحلام، بالإضافة إلى المقالات التي ضمتها الكثير من كتبه مثل ذكرى الطفولة لجوته حيث ضمنه مقالات في التحليل النفسي التطبيقي >>¹.

لم يكن "فرويد Freud" لوحده من أرسى دعائم هذا المنهج النقدي النفسي، بل راح يشيع بين أهم النقاد الغربيين >> يونغ Yung الذي يرى بأن النص الإبداعي تختزله تلك الرواسب النفسية ما يتصل بها من رموز وصور. >>² أما النقاد العرب >> فتعد سنة 1938م تاريخاً حاسماً في علاقة النقد العربي بالمنهج النفسي، لأنها السنة التي أوكلت فيها كلية الآداب بجامعة القاهرة إلى كل من أحمد أمين ومحمد خلف الله مهمة تدريس مادة جديدة لطلبة الدراسات العليا تتناول صلة علم النفس بالأدب >>³. لقد أرسى معالم هذا النقد عربياً نقاد عظام، طوعوا النصوص الإبداعية لتعيش في مخابر نفسية تمارس عليها شتى التجارب التشريحية بمختلف الوسائل ولعل أهمهم عباس محمود العقاد >> الذي لم يكتف بالممارسة النفسية النقدية، بل راح يؤازر هذه النظرية في مقالة: النقد السيكلوجي المنشور عام 1981م >>⁴. دون أن ننسى زميله في كتابه "الديوان" "المازني" الذي بادل "شكري" التهم بالسرقة من الأدب الإنجليزي فكلاهما اشتغل بنفسية تصل إلى حد الاتهام بالجنون واللاوعي.

¹ ينظر: جان بيلمان نوبل: التحليل النفسي والأدب، ص21-22.

² عز الدين اسماعيل التفسير النفسي للأدب، ص12.

³ يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، ص25.

⁴ ينظر: يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، ص23-24.

تُظهر الساحة النقدية العربية عدة أفلام تبارت فيما بينها لتحقق مشروعاً نقدياً نفسياً، من بينهم وأكثرهم شيوعاً. "مصطفى سويف" الناقد النفسي العربي بدون منازع توجه يدركه الباحث عند اطلاعه على >> كتابه الموسوم: الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر، والذي كان موضوعاً لرسالة حاز بها على درجة الماجستير عام 1948م وقد تم نشرها كتاباً 1951م<<¹.

رؤية نقدية:

إن المنهج النفسي بممارساته النقدية رغم ما قدمه من وعي بالذات المبدعة، وباطنها البشري، والكشف عن أسباب العمل الإبداعي كتابته وتخرجه، يبقى قاصراً في التحليل، حيث حول المبدع إلى مريض نفسي: يعاني عدة عقد جنسية، يصبح الأديب ها هنا يكتب نصه خائفاً، حتى لا يُتهم بعقد جنسية وما شابه، بات الحديث عن المبدع وأثره في جماليات الكتابة الإبداعية مهماً بل منبوذاً في التحليل النفسي.

وما نختم به، يمكننا اليوم إعادة النظر في تحليل النصوص معتمدين على منهج واحد متناسين في ذلك التراكم المعرفي المادي للمناهج، فلا نص دون تاريخ ولا تاريخ دون مجتمع وهو الدعوة للتكامل المنهجي.

¹ سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، 235.

المحاضرة الحادية عشر: النقد الواقعي

تمهيد:

لا يختلف اثنان أن عملية النقد كانت وما زالت جزءاً أساسياً من الممارسة الإبداعية للإنسان؛ فمنذ أن عرف الإنسان الإبداع من خلال محاكاته للواقع انطلقت شرارة النقد الاجتماعي ترافقه، لم تعد الكتابة كتابة للترويح عن النفس، بل أصبحت تتعلق بجماليات شكلية وضمنية وهو جوهر النقد الواقعي، الكثير منا يتساءل عن طبيعة العلاقة بين النقادين؟ وهناك من يجعل الترادف قاسماً مشتركاً بينهما وعليه ما مفهوم الواقعي؟ ما الفرق بين النقادين؟ وما ظروف نشأته؟ رواده؟ وأخيراً أهم الإخفاقات التي عجلت بظهور نقد جديد؟

1- مفهوم النقد الواقعي ونشأته:

يُعد علم الجمال من العلوم الحديثة النشأة، حيث جاء بعد تأملات كثيرة في المنجز النصي، ولذا أمكننا أن نصفه بالخضرم، فالفكر اليوناني والفلسفة الإغريقية قد صبّت جل اهتمامها على ما يتسامى من الفن من جمال، وقد وقف العرب قديماً لاستنطاق بواطن الجمال في البلاط وأسواق الشعر، فقد تُخّنت قصيدة ويصبح ناظماً من أهل المعلقات، وما ذلك الحكم إلا للتذوق الجمالي الذي فُطر عليها بني البشر.

قدم الباحثون في علم الجمال مفاهيم نقدية، انطلق منها النقد الواقعي لقد >> تميزت الواقعية عن غيرها من المذاهب الأدبية، ومن أشد المذاهب الأدبية حيوية وأطولها عمراً.... دون أن تفقد قدرتها على التجدد<<¹. تمتص الواقعية رحيق الإبداع فتحوله إلى محطات جمالية، فكرة مفهومية عن النقد الواقعي قد طرحها الناقد العربي حسين مروة في بيروت 15 تموز 1965 >> لتطبيق المنهج الواقعي في الدراسة النقدية، هو المنهج الذي أشعر بطمأنينة عقلية ووجدانية لأنني انتهجته.... وي

¹ صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، ط2، 1980، ص5.

رجاء مخلص, ومتواضع أيضا، أن تنال هذه المحاولات شرف كونها بحثا عن الحقيقة¹. من جهة ومساهمته في بناء الصرح النقدي الواقعي العربي من جهة ثانية.

اهتم البحث النقدي الحديث بالنقد الواقعي، وأولاه دراسات علمية وما ذلك إلا للأهمية التي نالها هذا النقد كونه >>نظرية نقدية تعتمد أصولا معينة في فهم الأدب, وفي اكتشاف القيم الجمالية والنفسية والفكرية والاجتماعية في العمل الأدبي, واعتماد هذه الأصول يقتضي من الناقد أن يتجهز كذلك بقدر من المعرفة تتصل بشؤون النفس الإنسانية وقوانين تطور المجتمع<<² وبديهي أن يقف الناقد على هذا النسق فيكشف حدود الجمال في الأثر >>ليس النص المفتوح سمة ملازمة وإنما يجده القارئ في النصوص الثرية التي تبث في غير اتجاه, وتومئ أكثر مما تقول, وتحتوي في بنيتها على غير طبقة لكل منها لسان خاص بها ينوب عنها في الكلام ضمن الزمن والظرف اللذين نشأت من خلالها, ولذلك يمد النص ألسنته, ويستنطق الغياب, ويجاور المسكوت عنه<<³ الذي يخاف من إظهاره الواقع حتى لا تمارس عليه تلك الممارسات النقدية.

لقد عُرف هذا النقد بمسميات مختلفة منها >>المنهج الإيديولوجي, المنهج الواقعي, المنهج الماركسي, النقد الجماهيري. مفرزا طائفة من المصطلحات منها: الواقع والواقعية, ورؤية العالم, الأدب الهادف, فالكاتب يشترك مع أفراد طبقته الاجتماعية, والتجربة التي يعبر عنها, يشاركه فيها أفراد آخرون<<⁴.

يبتعد النقد الواقعي في نقده عن الذاتية إلى الظروف المحيطة بالنص الإبداعي, وهو ما يفسر كفاح الفردانية حيث >>دمر النظام الرأسمالي وحدة الإنسانية وكمالها, ورسالة الشيوعية هو بناء

¹ حسين مروة: دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي, مكتبة المعارف, بيروت, لبنان, تشرين الأول, 1988, ص09.

² نفس المرجع, ص05.

³ خليل موسى: آليات القراءة في الشعر العربي المعاصر, منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة, دمشق, 2010, ص04.

⁴ خلف الله بن علي: تطبيقات النقد الاجتماعي في النقد الجزائري: قراءة في المصطلح والخطاب الأيديولوجي, مجلة جسور المعرفة, المجلد 4, ع03, تيسمبيلت, الجزائر, 2018, ص167.

شخصية الفرد كاملة, في نطاق التقدم السياسي نحو العدالة وهو ما استقر عليه القرن التاسع عشر¹، فالنقد الواقعي هو نقد منهجي بدرجة أولى يحمل ممارسات نقدية تعتمد أصول البحث عن جماليات النص من خلال مضمرة الواقع لأن كل عمل إبداعي لا بد أن يحتوي نوعاً من التجربة التي لا تتكرر عند فنان وفنان آخر, تبقى خصوصية التجربة؛ وإن تكلم المبدع عن بيئته وواقعه وكل ما يدور حوله من حركة.

يقول محمد مصايف عن براغماتية النقد الواقعي: "فالقضية عندي ليست شعارات اختبيء وراءها, وإنما هي مواقف أدبية مدروسة تنظر إلى الأدب على أنه أدب, لا على أنه وثيقة سياسية تعتبر عن نزعة برجوازية أو ماركسية فقط, بل عندي ظاهرة اجتماعية وحضارية بالدرجة الأولى, وفي هذا الإطار أدرسه غير متغافل عن جانبه الفني والتقني, ولا أرى لي أي حق في أن أنوب عن الأديب في التعبير عما لم يرد التعبير عنه, وأرى لي كل الحق في تحديد اتجاهه ومضمونه الاجتماعي في انتظار المذهب الذي يؤمن به"².

بهذه الأفكار النقدية يؤكد "مصايف" على الرسالة الاجتماعية الواقعية للأدب.

2- إرهابات النقد الواقعي:

نحن ندرك تماماً ذلك البوان بين النقد الاجتماعي المؤسس لخدمة المجتمع, والنقد الواقعي خدمة للذوق وجماليات التلقي عند المجتمع, على الباحث بداية يكشف ماهية القراءة عنده, وآليات صقلها وتطويرها, فالنص الأم يحتضن التمتع ويعشق الهروب, ولم يكن النص نصاً إذا ما لم يتعلق بالجمال الذي ينفث للمحلل تلك الملامح المتعلقة بالمضامين الواقعية التي تتسبب هذا الأثر.

تعود نشأة النقد الاجتماعي >> إلى منتصف القرن الماضي, عاصرت الرومانتيكية وورثتها, وشهدت الطبيعة وتجاوزتها, وتأملت مولد غيرها من المذاهب الموقوتة التي لم تعمر, من هنا

¹ حسين مروة: دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي, ص05.

² محمد مصايف: دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي, ص05.

تعددت وجوه الواقعية وتنوعت أصولها، واتسمت في تطورها بالخصوبة ولم تقتصر على دورها في الماضي وأما امتدت لتحتضن إنتاج الغد.... وإذا كانت تدين في نشأتها لظروف تاريخية موضوعية مر بها المجتمع الأوربي في القرن التاسع عشر، إلا أنها تمخضت عنه من مبادئ جمالية أساسية قد أصبحت ذات صبغة عالمية شاملة، وهي بذلك تختلف جذريا عن غيرها من المذاهب الأدبية الكبرى¹؛ إذا كانت الكلاسيكية قد قامت على الفلسفة اليونانية والرومانية التي ظهرت كلامح لأوضاع سياسية واجتماعية واقتصادية، فإن الواقعية قامت على أساس رد الاعتبار لنظرية الانعكاس والمحاكاة خاصة تلك المتعلقة بالواقع وحيثياته الجمالية الإبداعية.

كانت الفلسفة أسبق من الأدب في استخدام مصطلح الواقعية وتداوله بزمن طويل، وإن كانت تضيف عليه دلالة تختلف كثيرا عن المفهوم الأدبي، يتحدث "كانت" Kant في نقده للعقل الخالص عن الواقعية كما يقدم شلينج الألماني "شليجل" كل ما يكون شبهة فيدافع خصومة حادة نشبت في منتصف القرن الماضي بين انتقاد التشكيلين وكاتب قصصي هو: "شامفلوري cham pflory" حيث نشر هذا الأخير مجموعة عن من المقالات ضمها مجلد عنونه ب: "الواقعية" عام 1857م، وقد حوكم "فلوبير" عن واقعية المفرطة في "قصة مدام بوفاري 1857م².

أما في الولايات المتحدة فقد ظهرت إرهصاصات النقد الواقعي عند نقاد كثر تزعمهم "هنري جيمس حوالي عام 1864، ويعتبر هذا الناقد حامل لواء المدرسة الواقعية الأمريكية، أخذ النقد الواقعي شكلا حاسما في الأدب الألماني على يد "ماركس" و"إنجلز" عام 1888م دون أن ننسى الأديب الروسي ديستوفيسكس وتولستوي، ظل الاهتمام قائما حتى في القرن العشرين وهنا نذكر أعمال الناقد بيرماتينو أولهما: عام 1913 بعنوان "القصة الواقعية" والثاني 1933م³.

¹ صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، ص05.

*الواقعية تعتمد البنية الداخلية في تفسير معطى الواقع الذي يمرر الأديب خفية، وفق ما يسمى خطاب الأنا.

² ينظر: صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، ص11، ص18.

³ نفس المرجع، ص20.

وقد برهنت الدراسات النقدية على الفكر الريادي للواقعية الفرنسية التي تعود إلى قصص "الأبيض والأسود" إلى مدام بوفاري" ولا يقل تأثير الإنساني، ويبقى تأثيرها تأثيراً يمنح النصوص الإبداعية قوة وجمالاً.

دعاة النقد الواقعي:

إن العمل الأدبي ليس مجرد انعكاس للمجتمع فحسب >> وإنما يظهر مع غاياته ذاتها، ويحرك مشاعر القراء، وبهذا يسهم في تطوير المجتمع... له معنى أكثر أهمية من مجرد محتواه القولي، ويفتقد "ليفين شوكينج" في دراسته عن (اجتماعية تكون الذوق الأدبي) أن النقد لكي يقوم القيمة إكماليه بدقة؛ لا يجب أن يعن النظر في العمل نفسه، وإنما في تأثيره في الجمهور إن الطريقة الوحيدة لتقييم فن ما استطاع أن يفرض نفسه هو استمرار تأثيره وعند ما يفوز عمل ما في الاحتفاظ بشهرته على امتداد أجيال كثيرة لا بد أن يكون قد انتقل من طراز اجتماعي يحسم الذوق إلى آخر، ولأنه استطاع أن يقدم شيئاً إلى جماعات تختلف كثيراً في زاجها النفسي >>¹ من هذا المنطلق ظهر النقد الواقعي الذي ارتبط في كثير من الأحيان بمعطى الجمال للنص الإبداعي من جهة والواقع من جهة أخرى.

ومن هذا المنطلق يبرز دور الناقد الواقعي جلياً؛ حيث يخرج الممارسات النقدية من حيز الجماد أثناء تذوقه جمالياً النصوص، وفي غياب الناقد الجمالي الواقعي "يتجمد النقد، وتتجمد شخصية الناقد، وتتعلل عنده حساسية التذوق الجمالي، وعندئذ تنشل حركة النقد الوظيفية وتنتفي منه الفائدة والغاية... >>². يستقي النقد الواقعي أهميته الكبرى من الوظيفة الأساسية التي يقوم عليها >> فإن أول ما تعنيه وظيفة النقد: تثقيف القارئ بإعانتته على تفهم الأعمال الأدبية وكشف المغلق من مضامينها، وإدخاله إلى مواطن أسرارها الجمالية، وإرهاق ذوقه وحسه الجمالي، وإغناء وجدانه ووعيه بالقدرة على استنباط التجارب والأفكار والدلالات الاجتماعية والمواقف الإنسانية التي يصفها

¹ خلف الله بن علي: تطبيقات النقد الاجتماعي، ص 167.

² حسين مروة: دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي، ص 6.

الشاعر أو الكاتب خلال العمل الفني، تجاه قضايا عصره أو وطنه أو مجتمعه¹. هذا النوع من النقد خُلق لفهم القيم الأدبية فينفذ بها إلى جوهر العمل الأدبي ومراميه وجمالياته، وما دام النقد على هذا الوجه، ظهر دعاة كثر.

استحوذ النقد الواقعي على مساحة كبيرة من الكتابات الإبداعية والنقدية معا. سواء عند الغربيين أو العرب، يعتبر "شيلر" أول من دعى إلى مصطلح الواقعية في الأدب في كتاباته عام 1998 تحدث عن الفرنسيين فوصفهم بأنهم واقعيين أكثر منهم مثاليين، لم يلبث المصطلح حتى انتقل بمدلوله البسيط بين الأدباء الرومانتيكين الألمان... وقد التقطه منهم الكتاب الفرنسيين فأقاموا منه هيكلًا متناسقا... اهتم به عام 1833 الناقد الفرنسي جوستاف بلانش Gustave Blanch كان يصف وصفا دقيقا الملابس والعادات يتطور المفهوم عند "وولترسكوت" و"فيكتور هوجو".... أصبح مصطلحا دقيقا وشعارا لمجموعة من الكتاب الكبار على رأسهم الجيل الأول "ستندال" و"بلزاك" ثم الجيل الثاني "فلوير" لقد كان أثر "بلزاك" حاسما في انتصار الواقعية حيث أدخل مصطلح Milieu الفرنسي الذي يعني البيئة أو المحيط.

كما نجد هنري جيمس والذي نصح بدراسة النظام الواقعي الشهير.... وصلت الواقعية ذروتها مع قضية "مدام بوفاري" عام 1807. والواقعية العظمى سادت في فرنسا وانتشرت منها إلى أوروبا خلال النص الأول من القرن التاسع عشر². إذا كانت الواقعية الغربية تعتمد على أهم ما ذكرنا فإن الواقعية الغربية تستثمر جهود النقاد العرب أبرزهم حسين مروة، محمد مندور.

ومن هذه المنطلقات سعى النقد الواقعي سعيا حثيثا في المحافظة على إقامته منهجا رياديا إلى اليوم، فإذا كانت الرومانسية قد أعلنت في مقدمة كتبها "كرومويل" "لفيكتور هيجو" فإن الواقعية أعلنت في مقدمة كتبها "بلزاك" الكوميديا البشرية" عن المذهب الواقعي يتحدث.

¹ حسين مروة، المرجع السابق، ص 08.

² ينظر: صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، ص 11-34.

ومهما قدمت الجهات المعارضة من نقد للواقعية في ممارساتها النقدية، يتجلى دورها واضحاً في القبض على مختلف الجماليات النصية التي يدركها الناقد المثقف. واقعية نقدية أظهرت حركة جديدة تقوم برصد التغيرات الواقعية بعد اكتشافها للحقائق الجديدة وتخلصها من الأساطير القديمة.

المحاضرة الثانية عشر: النقد الجديد

تمهيد:

ترصعت الساحة النقدية الأدبية في منتصف القرن الماضي بعدة تصورات ومفاهيم جديدة، أكسبت الممارسة النقدية سلطة انتقالية وقفزة نوعية، بعدما شد انتباه الناقد مناهج نسقية؛ حاول أن ينهض على منوالها إلا أنه كان تواقا لما هو جديد، موليا عناية كبرى لرؤية نقدية تتأسس لتحديث تغييرا ما في الأدب -نصوص أدبية- شكلا ومضمونا، وعليه أصبح لدينا اليوم ما يسمى بـ "النقد الجديد".

مفهوم النقد الجديد وظروف نشأته:

ليس من المماراة في شيء >> أن يلاحظ ناقد النقد العربي المعاصر عجيج نصوصه بطائفة من المصطلحات التي أضحت تلوكها الأقلام النقدية الجديدة>>¹. وليس ظلما أن نرجع هذا الكم إلى ما يسمى بـ "النقد الجديد، >> لذي بدأ مساراته الأولى نهاية الستينات، وتطور مع تطور دراسات علم اللغة الحديث واللسانيات واستثمارها في إعادة قراءة النصوص الأدبية، فإن هذا الواقع الجديد أفرز عددا كبيرا من الدراسات والأبحاث التي تستلهم النقد الجديد بمختلف اتجاهاته الشعرية والاجتماعية والنفسية>>².

يأتي النقد الجديد نتيجة لتراكمات منهجية، علت الجانب الآتي على ما ينبغي أن يكون عليه النص، والبحث هاهنا لا يعدو أن يكون بحثا عن قوانين معيارية تنجزها مدرسة ما، وهي المجموعة التي تندرج ضمنها قواعد ينبغي التقييد بها انتماء الممارسة الفنية، وعليه يشهد النقد الجديد في مفهومه

¹ يوفى وغليسي: تحولات الشعرية في الثقافة النقدية العربية الجديدة (بحث في حفریات المصطلح)، مجلة علم الفكر، الكويت، م37، ع3، مارس، 2009، ص07.

² عمر عليان، النقد الجديد والنص الروائي العربي، (دراسات مقارنة للنقد الجديد في فرنسا وأثره في النقد الروائي العربي من خلال بعض نماذجه، أطروحة دكتوراه تحت إشراف الدكتور عبد الحميد بورايو، جامعة قسنطينة، 2005-2006، ماورد في المقدمة -أ-

شيئا من الخلط والضبابية >> فإن هناك من يرى بأن النقد الجديد في أمريكا ينهل من منابع الفلسفة المثالية عند كانط (1724-1804) وهيكل (1770-1831) التي تناولت مفهوم الجمال الفني من منظور علاقته بالمتعة الجمالية وأثرها في النفس الإنسانية، وهذه الأفكار ساهمت بشكل كبير في ظهور توجهات فنية تركز بصورة كبيرة على المتعة الفنية >>¹. وهنا تتجسد مقولة الفن للفن.

لقد ارتبط النقد الجديد بمدرسة تعرف بـ >>مدرسة الجنوب؛ وهي جماعة من النقاد كانت مرتبطة ببرنامج سياسي وثقافي يشمل الأقلية الجنوبية في الولايات المتحدة الأمريكية، والتي كانت تنادي بمبدأ المساواة.... فقد نادى أحد أقطابها وهو آلان تين بمبدأ الجمالية الإقليمية. بدأ النقد الجديد متأثرا بأعمال آيفور آرمسترونغ ريتشاردز 1893-1979 وإليوت، لكن يمكن القول أنه ظهر بصورة دقيقة عام بمثابة أطروحة في بريطانيا في النصف الثاني من القرن العشرين،... كتاب "معنى المعنى" >>².

إن النقد الجديد >> أداة منهجية لقراءة النصوص وإعادة تفسير جمالياتها الأدبية فقد انطلق النقد الجديد مع ريتشاردز وإليوت وجوكر واتسوم وأقرانه من العشرينيات معتنين بالنص من داخله بالدرجة الأولى، من حيث الاهتمام بالأثر الأدبي من حيث بنيته وشكله >>³.

وعليه فالنقد الجديد هو ذلك النقد الذي يدعو >> للتركيز على المميزات والخصائص المكونة للحقيقة الأدبية والظاهرة الفنية انطلاقا من مستويين تؤديهما اللغة الشعرية هما: الوظيفة الانفعالية La Fonction émotive , والوظيفة الرمزية المرجعية La Fonction réfection إن "النقد الجديد New criticism تسمية أطلقت على الحركة النقدية التي ظهرت في أعقاب المنهج

¹ عمر عليان، النقد الجديد والنص الروائي، ص 03.

² نفس المرجع، ص 4.

³ فيروز قواري: قضايا النقد الجديد، كتاب ما هو الأدب؟ لرشاد رشدي أمودجا، مذكرة مكملة لنيل الماجستير الأكاديمي، جامعة المسيلة، 2017-2018، ما ورد في مقدمتها.

الشكلائي السابق متخذة من الجامعات الأمريكية، وجامعات الجنوب الأمريكي تحديدا مركزا لها، وكان من أبرز نقادها كلينت بروكس c.Brooks وروبرت بن وارن¹.

لقد تمثل النقاد الأثر الأدبي، وأدركوا مواطن الجمال فيه، جمال شكل أو مضمون وفقا لنقد جديد، يرجح أن هذا المصطلح أول ما ذكر عند الكاتب والناقد الأمريكي "سينجارن الذي حمل كتابه عنوان "النقد الجديد" سنة 1912، فكان بذلك صاحب المصطلح ومبتدعه، وقام الناقد جون كوررانسوم بالترويج للمصطلح². وقد كان "رانسوم" الموجه الأول لقراءة النصوص الشعرية ودرسها بدقة وكرس همه فيما يجب أن يكون جماليا، ولقد تدعم هذا المرفق بظهور "كتاب فهم الشعر" 1938 لمؤلفه كلينيث بروكس وروبرت بدرجة أولى³.

لقد صب التوجه النقدي الجديد قبل اهتمامه على النصوص الشعرية لأن اللغة الشعرية تختلف عن بقية اللغات.

التوجه النقدي عند رشاد رشدي:

إن المتتبع لحركة النقد الجديد في صورتها العربية يدرك جيدا ذلك الأثر الذي خلفه فكر إيوت، وريتشاردز في مسار النقاد العرب، وفي مقدمتهم رشاد رشدي، لقد آمن هذا الناقد بقدرته تفعيل البنى الداخلية عبر التحليل للوقوف على أبجديات الجمال الذي تحكمه.

رشاد رشدي (1912-1983)، ناقد مصري، تربع على عرش نقاد "النقد الجديد"، فكان تأثيره الأبرز بينهم، لقد اهتم بالجديد وأقام له كيانا منهجيا >> انتقل النقد الجديد إلى الوطن العربي مع نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات وكان من الطبيعي أن يحمل لواءه جمع من النقاد المتغلغلين في أوساط الثقافة الإنجليزية، فكان فارس هذه المرحلة بدون منافس الدكتور رشاد رشدي - أول دكتور في

¹ عمر عليان: النقد الجديد، ص 04.

² عمر عليان: النقد الجديد، ص 07.

³ نفس المرجع، ص 08.

الأدب الإنجليزي- ناضل عبر موجة من الكتب أهمها: ما هو تكوين جمعية من النقاد وفقا لهذه المبادئ الجديدة، مما جعله يخوض معارك نقدية جديدة، لاسيما مع الدكتور محمد مندور: وقد آزره هذه الجهود الكثير من طلبته¹. بعدما تجسدت فكرة التجديد عند العرب راح معظم النقاد لتقفي أثر النظرية عند الغربيين عبر سلسلة كبيرة من الكتب ولقد فصل في هذا الموضوع مصطفى ناصف في كتابه الموسوم بـ "دراسة الأدب العربي" >> حيث نشر محمد العنابي "النقد التحليلي" عام 1962 عن كلينت بروكس، وسمير سرحان النقد الموضوعي عن ماثيو أرلوند كما نشر عبد العزيز حمود كتابه "علم الجمال" عن كروتشي، ونشر فايز إكسندر "النقد النفسي" عن ريتشارد².

يرى مصطفى ناصف بأن النقد الجديد يقابله عندنا ما يسمى بالنقد الفني أو النقد الجمالي >> إن ما عرف في النقد العربي المعاصر باسم المنهج الفني يمكن أن يكون صدى عربيا مباشر لمدرسة النقد الجديد، مدرسة الأنجلوالأمريكية >>³.

لقد تأثر رشاد رشدي بفكر إليوت كثيرا الداعي لإعادة النظر في الممارسة النقدية وجعلها تعيش قفزة نوعية وخاصة عندما تكلم عن البلاغة وقال: >>فالبلاغة وفقا للنقد الجديد ليست في صدق الإحساس أو في صدق التعبير أو جمال الأسلوب أو إفصاحه عن شخصية الكاتب، بل كما يقول إليوت في أن يخلق الكاتب شيئا يجسم به الإحساس ويعادله معادلة كاملة فلا يزيد أو ينقص عنه حتى إذا ما اكتمل خلق هذا الشيء، أو هذا المعادل الموضوعي استطاع أن يثير في القارئ الإحساس الذي يهدف إلى إشارته >>⁴. أي أن النص مطلبه تحقيق الجمال في نفسية القارئ وهو

¹ ينظر: فيروز قواري: قضايا النقد الجديد لرشاد رشدي، ص23.

² مصطفى ناصف: دراسة الأدب العربي، دار الأندلسي، بيروت، لبنان، ط3، 1983، ص185.

³ نفس المرجع، ص186.

⁴ رشاد رشدي: ما هو الأدب؟ مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1971، ص42.

ما أحال إليه الناقد العظيم الذي حرك دواليب النقد الجديد عند العرب حين قال: >>فالقصيد
الجيدة تنبع قيمتها من وجودها<<¹ الجمالي الذي يحققه القارئ بتذوقه لهذه النصوص الشعرية.

رؤية نقدية:

لقد مثل النقد الجديد عدة ملامح تحليلية جعلته الوافد المرحب به، غير أنه وقع في مزلق عدة،
أبعد الكثير من انتهاجه في محاولة البحث عن الجديد المستمرة، لقد وقع النقد الجديد في عدة مزلق
أهمها:

- التركيز المطلق على العمل الأدبي، دون مراعاة الأنساق التي تحيط به، في محاولة لقطع الصلة بين
العمل ومحيطه.

- مقارنة النصوص مقارنة علمية.

- جعل التأويل أساس كل دراسة في "النقد الجديد".

- القارئ من يحدد الكلمات البؤر للنص حتى ولم تتوافق وما خطط لقوله خفيه المبدع، فالقارئ
صاحب "سلطة".

هي مزلق شجعت الأقلام النقدية للبحث فيما يمكن أن يخدم النص الإبداعي والمبدع، والقارئ
معاً، محاولات جادة آمن بها أصحابها، هي ممارسة النقد بآليات جديدة وهذا ما أكد عليه إبراهيم
محمود خليل في قوله: >>ليس الهدف من القراءة النقدية استخراج المحتوى أو الكشف عن المعنى
وإنما الغاية التي يسعى نحوها هي تحقق ثنائية الفهم والإفهام<<². التي يشترك فيها الباحث والمتلقي
بالمعنى السوسيري.

¹ يوسف الخال: الحداثة في الشعر، دار الطلبة بيروت، لبنان، ط1، 1978م، ص14-15.

² محمود إبراهيم خليل: النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة، الأردن، ط1، 2003، ص77-109.

ومن هذه المنطلقات, أمكننا أن نقول أن تلك المزالق ما هي إلا عتبات وقف عندها النقاد, للمضي قدما نحو التجديد وإعادة هيكلة النصوص هيكلية تليق بلغة الضاد عند العرب, وبالمعجزة اليونانية والفلسفة الخالدة عند الغربيين.

المحاضرة الثالثة عشر القضايا النقدية -1-

تمهيد:

تتفرد الكتابات النقدية الحديثة بمساءلة النقد العربي وتحولاته العميقة التي مست جميع بنياته ووظائفه، وطرائق اشتغاله، وإن الرجوع إلى أصول هذه المسلمات في تراثنا العربي خاصة؛ من الأمور المحمودة العاقبة، يقودها في ذلك أسئلة ارتبطت بموجة الحداثة والتي نلقاها قد تمفصلت بدقة في كتاب محمود ميري "أسئلة النقد العربي" وفي باب المخصص بـ "أسئلة النقد الأدبي الحديث" عندما تحدث عن ذلك الزخم الهائل من المد الفكري والأدبي والثقافي راصداً في ذلك >> مجموعة التحولات التي شهدتها الساحة النقدية -الثقافية العربية- والوقوف عند المحطات التي اجتازها العمل النقدي العربي إنها رحلات متعددة بين القديم والجديد وبين العريق والوافد، وبين الأصيل والدخيل >>¹. يبحث الناقد العربي والغربي على حد سواء دائماً عن معطى الإجراء الذي يحدوه قوة التجربة النقدية.

1- مؤشرات التحول النقدي:

تشهد الساحة العربية النقدية منذ الربع الأول من القرن التاسع عشر البحث عن مدرسة جديدة تعيد النظر في التراث من أجل إقامة عهد جديد؛ يمدنا بتجربة عربية تستقي جل أدواتها الإجرائية من صلب التجربة النقدية القديمة، وهو ما حدث عندما ركب النقاد موجة التغيير والتحول التي وإن خالفت التراث تبقى ملتصقة به >> المدرسة الجديدة حركة ظلت مرتبطة بالموروث تستوحي منه مرجعيتها، رغم بوادر التجديد التي طغت أعمال هذا الجيل، إذ يتعلق الأمر بإنتاج الأفكار والمناهج والمفاهيم من أجل الدفاع عن نفسه إزاء التحديات التي يفرضها الآخر في زمن المثاقفة اللامتكافئة التي لن تكون في العمق سوى ثقافة المهيمن والغالب >>². الذي لا يمكن له أن يؤثر

¹ محمود ميري: أسئلة النقد الأدبي العربي خلال العقدين السابع والثامن من القرن العشرين، الفضاء الثقافي، منشورات دار الأمان، الرباط، ط1، 2015، ص15.

² المرجع السابق، ص25-26.

في الجوهر رغم عدم صمود النقد العربي مطولا أمام الوافد الأجنبي وكونه شهد تحولات عظيمة إلا أنه لا يمكن أن يُقتلع من جذوره التي أنجبتة -الأصالة- وعدم >>مقاومة التغيير، فإن التحول الذي يمكن أن تعرفه الأشكال، لا يمكن أن يؤدي بنا إلى الاعتقاد بأن التغيير سيكتسح الجوهر<<¹.

لقد أسهمت المدارس النقدية العربية الحديثة وما شهدته من إكراهات في خدمة النقد إسهامات جلية لا ينكر فضلها أي باحث، انتهجت هذه المدارس التجديدية التي تعقب بإرادة التحديث منهج البديل النقدي وهو ما وجدناه عند نقادها التي يقف كل باحث عندها، جهود طه حسين، جماعة الديوان (عباس محمود العقاد، عبد الرحمان شكري، وعبد القادر المازين) وصولا إلى محمد مندور وحسين مروة رشاد رشدي، ورغم الخروج غير المألوف عندهم تحت تأثير الغرب، سرعان ما تعيد الأعراف الموروثة تصحيح هذا الخروج، لقد تشكل لدى العديد من نقاد الحداثة، نوع من الولاء من حيث الشكل والمضمون.

وهو ما وقف عليه بعض النقاد المحافظين الخائفين على غياب الخصوصية في النقد العربي والوقوع في شرك الاستلاب وهو ما جدد لديهم دعوة >>العودة إلى التراث وسيلة من وسائل المقاومة والدفاع عن الذات في مواجهة الآخر<<².

2- القضايا النقدية: تتداعى مختلف القضايا النقدية أهمها:

1. قضية الصدق الفني:

تأتي قضية "الصدق الفني" في طليعة القضايا النقدية والتي تبوأَت مقاما أثيرا من اهتمامات الخطاب النقدي الحديث والمعاصر، حتى غدا كل ناقد يبحث في أثر المنقود عن "الصدق الفني"؛ فالصدق الفني >>مثل المرآة الذي يسمح لنا أن نقول أن الفن يعكس الحياة من غير تحريف، وإذا تحرك هذا المعنى ولم يعكس الحياة فالفن هنا لا يعكس الحياة بل يشظيها مقدما لنا تحريفا للتجربة لا

¹ محمود ميري، المرجع، السابق، ص44.

² نفس المرجع، ص100.

انعكاسا لها، إن علمنا حقيقيا، يشتمل على طرق حقيقية يقول "هو لمان هنت" Holman Hunt يجب أن يكون عمل المرء انعكاسا صورة حية في ذهنه هو، وليس البديل الجامد للوقائع نفسها>>¹. يتجسد الصدق الفني الذي نادى به النقد العربي بأن العمل الحق لا يكون في نقل الوقائع بقدر ما يكون في تجاوزه فإنهم يهجرون ما لا يقدم نفعاً.

- ماذا نعي بالصدق الفني؟

تمتاز المجتمعات العربية عن غيرها من المجتمعات الأخرى بأنها >>مجتمعات تراثية تحتفظ بتاريخ الماضي وتدون آثاره أو تحفظه شفاهة لتقله إلى أجيال لاحقة، ويعد التراث العربي بمقوماته العديدة والفردية في الوقت ذاته عنصرا أساسيا في الحفاظ على كيان العالم العربي وهو ما يعرف باسم "التراث" ويلاحظ أن معضلة ما تجلت بشكل فج منذ منتصف القرن التاسع عشر، فمنذ ذلك التاريخ يعيش الوطن العربي والإسلامي أزمة تدور حول الحداثة والتراث والمعاصرة والأصالة في إطار تدفق موجات الحضارة الغربية وإفرازاتها في شتي المناحي الفكرية>>².

وبديهي أن تخلخل هذه الحداثة الكثير من المفاهيم والقضايا النقدية؛ التي كانت بالأمس تعيش بساطة الفكرة، وقوة الإجراء، ولعل أهم هذه القضايا الصدق الفني: >>يقول علماء البلاغة أن من أركان الأدب العاطفة الصادقة>>³ وهي فكرة أثارها الناقد الكبير "عبد الله الغدامي" في نظريته المتطورة والرائدة، إن جماليات النص الشعري قد مررت العديد من الهنات فيه؛ ومن أهمها النفاق والكذب فشاعر بقامة المتنبي مثلا تجلت روائعه في قصائد المدح التي دسها لسيف الدولة الحمداني، كما نتذكرها هنا "أحمد شوقي" أمير الشعراء الذي كان أصدقا عندما يمدح الخديوي إسماعيل والذي قربه من البلاط، ولهذا يقول الناقد "شاكر الخياط" عن الصدق الفني: >>إن مجال الإبداع يكون فيه

¹ ك،ك، روثنن: قضايا في النقد الأدبي، تر: عبد الجبار المطلبي، مراجعة: محمد جاسم الموسوي، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، بغداد، ط1، 1989، ص29.

² سماح أحمد فريد: التقاليد المبتدعة وإعادة التشكيل، رؤية لقضايا الثبات والتغيير وإعادة الإنتاج، مجلة عالم الفكر الأردن، ع3، م37، 2009، ص262.

³ إبراهيم أحمد الوائلي: الصدق الفني، مجلة الرياض، مقال إلكتروني.

التعبير صادقا عفويا يظهر دواخل المبدع، وبين الصدق الفني والتعبير الإلزامي أو الإجباري فرق كبير وهو حالة الإبداع التي ترافق العمل، وأما الصدق الفني في التعبير وخصوصا الشعر ينكشف للقارئ قبل الناقد الذي سيعرف ذلك مهما حاول الشاعر أن يضفي حالة تقربه من الإبداع¹.

إن الكثير من الأعمال الإبداعية لم يكن لهم الكعب المعلى نظرا لتزويقهم المتكلف المتصنع، وهنا يظهر الفرق جليا بين الصدق في الأخلاق والصدق في الكتابة >>والصدق الفني هو ليس الصدق المجرد عكس الكذب في الأمور الحياتية والشعرية، إطلاقا إنما الذي يراد ما ذهبت إليه العرب قديما هو أن تكون الصورة الشعرية معبرة عن تجربة شعورية حقيقية، دخلت نفس الشاعر فأزاحت عليه الستار وكشف عنها الحجب، فأعاد صياغتها وحقيقتها صياغة من خلق الشاعر² وهنا نتذكر ما طالبه به شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم "حسان بن ثابت عندما أنشد قائلا:

وإنما الشعر لب المرء يعرضه ** على المجلس إن كبسا وإن حمقا
وإن أحسن بيت أنت قائلة ** بيت يقال إذا أنشدته صدقا
ويعد الناقد العظيم ابن طباطبا أول من تحدث عن "الصدق في الشعر".

وأكثر من مثل هذا الصدق أمير الشعراء هذا الذي وصفه عباس محمود العقاد بالتكبي أو شاعر البلاط، فهو من كتب بصدق التجربة وصدق المشاعر عن نكبة دمشق:

سلام من بردى أرق ** ودمع لا يكفكف يا دمشق

2. قضية الخيال:

كل أديب له الحق في أن يرفض عالمه الواقعي وأن يسير للظفر بعالم الخيال ليس الفانتازيا وإنما عالم الخيالات المتعددة التي باتت تكتسح العالم اكتساحا جليا خاصة عالم النقد والأدب.

¹ إبراهيم أحمد الوافي. المرجع السابق، مقال إلكتروني

² نفس المرجع، مقال إلكتروني

● **مفهوم الخيال:** تعددت مفاهيم الخيال بين مؤيد له ومعارض, ويعرف آرثر ريبير الخيال: >> على أنه اتحاد الذكريات والخبرات السابقة والصور التي تم تكوينها وتوظيفها داخل بنية جديدة وهو نشاط يقوم به الإنسان المبدع بكل إبداع وقد يكون مبنيا على أساس رغبات الإنسان، أو الواقع الذي يعيشه, أو قصص مستقبلية, أو مراجعات عن ماضيه<<¹.

ويذهب "كيت إيجان" في نفس السياق تمرين العقل وتنشيط وظائفه المختلفة, وهو ليس وظيفة عقلية بحد ذاتها, فهو قدرة الإنسان على التفكير بالأشياء الممكنة, وهو يعبر عن الحداثة التي تدعو إلى تكوين صور جديدة, أما "شاكر عبد الحميد" فيرى في الخيال: عملية يقوم بها الإنسان بإرادته تسمح له بأن يتحول في عالمه الخاص, ليكون عدة صور يحركها حيث يريد.

وقد اهتم الغرب كثيرا بالخيال فجعلوا عالم الأفلام الأمريكية يعج بالفانتازيا والهلع "Imagination" وهو عشق موغل في القدم, >>ومنذ زمن بعيد, أي في القرن الخامس قبل الميلاد, كان أرسطوفانيس يدعو الشعراء, أساتذة الكلام إجادة بارعة, ومما يغلب على أذهان البنويين المحدثين Uxdem Stuctiralistds أمثال بارت صورة النص وكأنه شيء منسوج<<² والنسج من الحياكة والحوك وقوة التأثير, وقديما استأنس النقد بهذه السمة بل جعلها مقدارا للتمييز, قال وليم موريس William Uorris : >> إن لم يستطع الشاب أن ينظم قصيدة ملحمية وهو ينسج نسيجا مزدانا بالصور فالصمت خير له, ولا خير فيه أبدا<<³. لقد أخذ النقاد الغربيين اليوم بتلك الأفكار المدعمة للنسج وخاصة عندما نلاحظ قناعة الأدباء الأمريكيين والإنجليز >> في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أن يروا القصائد نقوشا على أحجار كريمة وكان غوته يهدف بما ورد في كتابه 1852 Emaux etcamees إلى معالجة موضوعات صغيرة بطريقة شكلية صارمة,

¹ هديل طالب: تعريف الخيال, مجلة موضوع, 15 أكتوبر 2018.

² روثقن: قضايا في النقد الأدبي, ص 153.

³ المرجع السابق, ص 153-154.

فعل الصائغ بمعادن ثمينة، لا بد أن تكون كل قطعة جميلة الزينة وكأنها صورة لغطاء صندوق جواهر أو خاتم منقوش، شيء يذكر بالأوسمة القديمة¹.

وغير بعيد عن الآداب الأوروبية والفكر النقدي الغربي، يضطلع مصطلح الخيال عند العرب بمكانة خاصة، وإن اختلف بعض النقاد في جعله يعيش تعددا مصطلحيا >> كالمبالغة، والإطناب والغلو، والإفراط، وجعل جميعها تجري على معنى واحد وعموما فالخيال أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته، وأبعد نهاياته، ولا تقتصر في العبارة عنه على أدنى منازل وأقرب مراتبه².

رؤية نقدية:

إن استمرارية الإبداع تماثل استمرارية النقد البناء وهو ما سعت إليه المدارس النقدية على اختلافها وإن تنوعت القضايا النقدية بين قضايا موعلة في القدم وقضايا حديثة وأخرى معاصرة، إلا أنها كلها تُجند لخدمة النص الإبداعي ومراعاة الحس الجمالي للقارئ، تبقى قضايا نقدية متجددة متجددة تتفاعل بتوريثها للأجيال الجديدة.

¹ نفس المرجع السابق، ص 153.

² أحمد أحمد بدوي: أسس النقد الأدبي عند العرب، ص 401.

المحاضرة الرابعة عشر القضايا النقدية -2-

تمهيد:

ترتبط ثقافة التحديث بممارسات نقدية جمّة، لعل أهمها ما مس المناهج النقدية وكيفية مقاربتها النصوص الإبداعية مقارنة إجرائية بناءة، ثورة حدائبة ارتبطت بمعطى التحول والتغير في كثير من الأحيان.

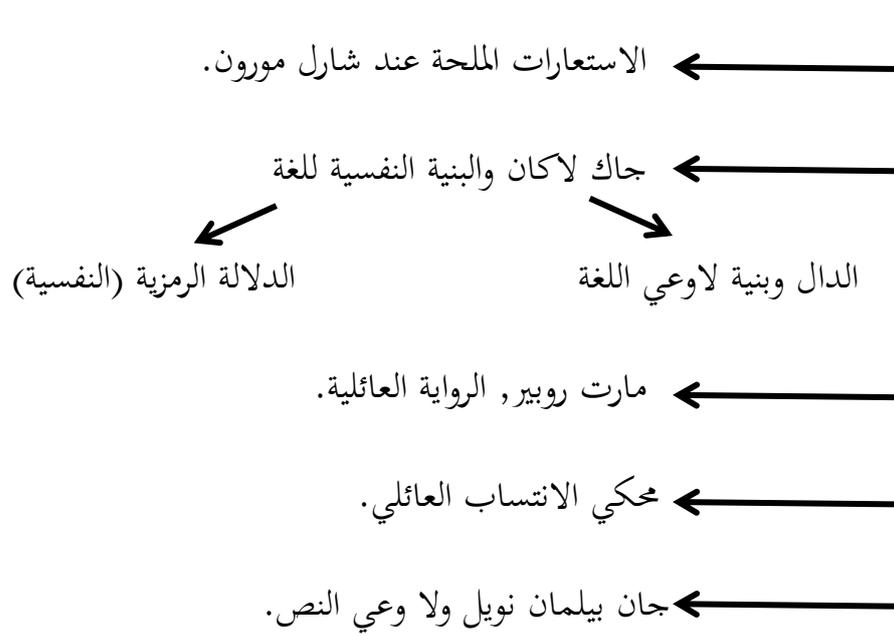
ثورة فكرية نقدية إجرائية مست مختلف الأجناس الأدبية من رواية وقصص ومسرح وشعر ... وقد ساهمت هذه الثورة في دمج مصطلحات نقدية أو انتقال بعض المفاهيم والقناعات من أنا إلى أخرى، وهنا نتحدث عن هلامية المصطلح النقدي وأكثر من ذلك النقد في حد ذاته نظرية وتطبيق.

● النقد بين النظرية والتطبيق:

أصبح الباحث اليوم، عاشق بامتياز >> يواجه إجراءات أنثى تغويه وتماطله، ويشابهه الصياد الذي يتوغل في المحيطات بآليات جديدة، يستنطق الغياب، ويحاور المسكوت عنه¹. وليس من شك في أن الاحتكاك الثقافي والأكاديمي يعد من أهم العوامل التي أثرت في تلك العلاقة القائمة بين النص والمحلل أو الناقد، لقد حمل النقاد اليوم لواء المناهج النقدية عاليا مبرزين أهميتها وجدوى الخلاص فيها ولعل أهمهم ما وقع عليه اختيارنا اليوم "النقد النفسي" الذي لقي رواجاً كبيراً في الدراسات التحليلية ويمكن تلخيص النقد تنظيراً وتطبيقاً فيما يلي:

¹ خليل موسى: آليات القراءة في الشعر العربي المعاصر، ص4-5.

المنظور الفرويدي التحليلي



تشتغل هذه الترسيم الموضحة كما طبقها الدكتور "عمر عليان" والتي نال من خلال كونها فصلا في أطروحته، درجة الدكتوراه على ما يسمى بـ "التداعي الحر" و"محكي الانتساب العائلي"، و"الاستعارات الملحة"، "الدلالات الرمزية النفسية".¹

لقد بدأ التحليل النفسي "psy chanalyse" يلقي رواجاً هاماً حيث انتقل فيه الاهتمام النقدي من البحث عن المؤلف إلى البحث عن البطل في العمل الإبداعي، ومن ثمة إلى القارئ بمختلف نفسياته فأصبح التحليل النفسي علاجاً يسعى من خلاله الباحث إلى الكشف عن جواهر المكبوتات محتكماً في ذلك ربط مبدأ اللذة بمبدأ الواقع.

استطاع "فرويد" بمختراته النفسية، وأسرته العلاجية، وتخصسه العصائبي، استقطاب عدة أبحاث خاصة بابتداعه للثالوث النفسي الأنا، الأنا الأعلى، الهو، أي >>الشعور، ما قبل الشعور وما بعد الشعور العقل الباطن<<².

¹ ينظر: عمر عليان: النقد الجديد والنص الروائي العربي، دراسة مقارنة، ص142.

² سيجموند فرويد: حياتي والتحليل النفسي، تر: مصطفى زيور وعبد المنعم المليحي، دار المعارف، ط2، 1967، ص11-12-13.

لقد وقع اختيارنا لهذا المنهج النقدي التحليلي على سبيل التمثيل، وعقد تلك المناورة الشيقة بين النقد نظيرا وتطبيقا.

النموذج التطبيقي:

تمهيد:

لقد اعتمد السرد الروائي مؤخرا على موجة عارمة من الوعي واللاوعي الموجود باطن الكائن البشري، لتتشكل بعد ذلك المونولوجات الداخلية، فيطرد السارد العارف كل الأحداث لصالح القارئ تعتبر أول محاولة للقصة الروائي من داخل النفس البشرية على يد "إدوارد يوجردين Edouard sujardin" أما أبرز مؤسسي الرواية النفسية فهو جيمس جويس "James Joyce" الروائي الإيرلندي، هكذا انطلقت الروايات العربية بتبغى العالمية في طبيعتها النفسية.

*رواية "سالم النهار" لفوزية شويش سالم:

إن الناظر لدولة "الكويت" الشيقة تبدو له هادئة معظم أهلها أثرياء، تبين لك وأنت تجوب شوارعها لاوجود للفقراء هنا، تأتي الرواية الكويتية "فوزية شويش سالم" لتكسر لدينا أفق التوقع، أسقطت الرواية جميع الأقنعة وحاولت أن تتخطى المسكوت عنه الغائب الحاضر.

نقلت "فوزية شويش سالم" أوجاع المهمشين، أطلت علينا من نافذة الطابوهات، حول مجتمعات تعيش على الذكريات السحيقة. لمقاربة المهمل.. انتهجت الرواية الواقعية القدرة وهي مدرسة أمريكية تتوغل بعيدا في المسكوت عنه.

تمركز الأنا:

وحدها الرواية من استطاعت أن تمد قلمها للعالم الحي فتسقط الأقنعة، تدخل البيوت وأي بيوت؟!، بيوت بدون الكويت، بيوت امتهنت الدعارة، قرأت الرواية العقلية، ولامست أوجاع الموتى والأحياء، أرادت أن تكتب بواقعية اجتماعية كتبت عن الفساد، الفوضى، الاقطاع، تكلمت

بلسان المتزوجات سرا - زواج المتعة - الذي ظهر في الخليج بصورة مكثفة. كشفت تجارب فهدة وابنها والرشوش. سعت الواقع، عبر تيمات نصية.

العنوان: "سلام النهار"، عنوان يحتزل النص الروائي ويحمل من الايحائية ما يجعل هذه الرواية تعيش على وقع القراءات التناسية.

سلام: جمع سلم وهو تدرج مرحلي من الأسفل إلى الأعلى أو العكس صحيح، وهنا يتقاسم التسلسل مع النغمات أو الايقاع، وقد يصدر الصاعد أو النازل منها أصوات معنية، فالسلم مرحلة انتقالية من إلى، تتقرن هذه اللفظة الدالة "بالنهار" وهو آخر الليل، ودليل انفراج أزمنة معنية، وزوال العتمة يعني زوال الهم وتفريج الكريات يقول عز وجل: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾¹.

تظهر في العنوان خاصية الأنسة تراسل الحواس، وهي أبرز سمات المدرسة الرومانسية التي لم تجد الخلاص في الواقع بل راحت تجوب أقطار الخيال، أيمن أن يكون للنهار سلام، فعلا لتتوغل من خلالها، وتكشف المستور!!.

أهم التيمات النفسية:

← **امتهان الجسد:** جعلت الروائية شخصيتها الأنثى تعيش على وقع صاحبة الراية في الجاهلية، فهدة تمارس الدعارة >> يقف قريبا مني (الزبون) ليتأمني يقبلني من فوق الى تحت يصفر ويسأل بكم الليلة؟ يستمر الكلام فيما بيننا حتى نصل إلى سعر المقبول من الطرفين... جسد البغاء بكل معطياته وأدواته تمثل له فلسفة عالم شهوي في غاية الإثارة<<².

← **المكان العار:** تتأثر نفسية الشخصية بمكان تواجدها ومحيطها يسلبها شيئا ما ويجعلها تتعلق به، تتحدث الروائية عن "دور الدعارة" اغتراب المكان في الخليج، تنتقل فهدة وتنقل معها تجربتها إلى اوربا، شوارع باريس، تعاني فهدة الاغتراب الروحي والمكاني معا.

¹ سورة هود. من الآية: 81.

² فوزية شويش سالم: سلام النهار، منشورات دار العين، ط1، 2012، ص123-124.

تصنع لنا الروائية واقعا نفسيا متأزما، تعاني العائلة: فهدة والرشوش الشتات والضياع وهي الفكرة التي كرسها جورج لوكاتش بقوله "التشيؤ"، أصبحت الروح شيئا، والشخصية رقما ضمن الأرقام.

تحدد الملامح النفسية العامة للرواية، فتهتم الروائية بهذه الشخصيات المريضة والمتأزمة نفسيا، تتوغل في الأحداث التي تقوم بها وعلاقتها وأحلامها وانكساراتها، لترسم بصورة النهار الفرج القريب، وانفراج الأزمة وهو ما تحققه الروائية فتتخلص فهدة من أدران الماضي ومن فساد التجربة.

تأخذنا الرواية إلى أكثر النقاط اللاشعورية، ملامح التيه والضياع والتشتت والاعتراب النفسي وهو ما يجعلنا نقف عندما ابتدعه سيغموند S. Freud للحد من هذه المعضلات وهو "التداعي الحر" أو تفريغ المكبوتات؛ رواية عربية رغم ما تلقت من نقد لاذع، إلا أنها تحكي واقع شريحة ما في بدون الكويت. وتحاول أن تمرر خطاب الثورة ضد المسكوت عنه.